مجلة الشهاب • المجلد: 08، العدد: 02 (2022م) • ص ص 529 – 558
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)

الرّؤية النقديّة للحضارة الغربيّة عند مالك بن نبيّ
" مشكلة الأخلاق أنموذجا "

Malik Bin Nabi's critical vision of western civilization
"The Ethics Problem as a Model"

ط.د/ نورة حنيش *
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
hennichenoura@yahoo.com
henniche-noura@univ-eloued.dz

أ.د/ يوسف عبد اللاوي
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
youcabd@yahoo.fr
abdallaoui-youcef@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 16 /2021/10 | تاريخ القبول: 2022/04/09 | تاريخ النشر: 15/ 2022/07

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: يُعد مصطلح الأخلاق أحد أهمّ المصطلحات الفلسفيّة، والحضاريّة الّتي ركّز المفكر مالك بن نبي على دراستها في سلسلة مؤلّفاته- مشكلات الحضارة- لذا تناولنا في هذه الدّراسة الرّؤية النّقديّة للحضارة الغربيّة عند بن نبيّ، من خلال تحديد مفهوم الأخلاق، وانعكاس المشكلة الأخلاقيّة على المجال الاقتصادي والاجتماعي والسّياسي والعلمي، وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج التحليلي الذي مكننا من تحديد رؤية ابن نبي لهذه المشكلة، وانعكاساتها على المجتمعات المعاصرة، لنصل لأهمّ الحلول الّتي طرحها في أغلب قراءته الفكرية، من خلال تنظيره لدستور أخلاقي عالمي، والّذي انطلق فيه من دورنا الخيري الذي خصّنا الله به في قوله تعالى:﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: 110] وتفعيل لدور المسلم في إطار واجبه الحضاري، الّذي يجب أن يتصدّره ويتمثّله بحسب رؤية ابن نبي.

الكلمات المفتاحيّة: الرّؤية النّقديّة؛ الحضارة الغربيّة؛ مالك بن نبيّ؛ مشكلة؛ الأخلاق.

Abstract: The term ethics is one of the most important philosophical and civilizational terms that the thinker Malik Bin Nabi has focused on in his book series -Problems Of Civilization-therefore we dealt in this study with the critical vision of western civilization according to Bin Nabi,by defining the concept of ethics and the reflection of the ethical problems on the economic,social,political and scientific fields.in this study we also relied on the analytical approach that enabled us to define Ben Nabi's vision of this problem,and its impacts on modern societies,to arrive at the most important solutions that he put forward in most of his intellectual readings through his theorization of a global moral constitution in which he started from our charitable role that Allah characterized us with in his holy words: "Ye are the best community that hath been raised up for mankind. Ye enjoin right conduct and forbid indecency؛ and ye believe in Allah" (Al Imran 110),and activating the role of the Muslim within the framework of his civilizational duty which should be preceded and represented according to the vision of Bin Nabi.

Keywords: critical vision; western civilization; Malik Bin Nabi; problem; ethics.

* المؤلف المراسل.

1- مقدمة

يُعتبر مالك بن نبي (1905- 1973) من أبرز رجال الفكر في العالم الإسلامي في القرن العشرين، ومن أشهر العلماء الذين أحدثوا ثورة في الفكر الإسلامي المعاصر، فقد استطاع أن يُنَظِّر لأطروحاته الفكريّة بأسلوب جديد يتّسم بالموضوعيّة وعمق التّحليل، ممّا طرح في منظور كثير من الباحثين رؤية غير مألوفة، أو متوارثة في مجال البحث العلمي، في قضايا العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، خاصّة وأن هذا الطرح جاء في زمن كانت تمرّ فيه الأمّة الإسلاميّة، والعالم بلحظات عصيبة، وهي نشوب الحرب العالميّة الأولى والثّانية، وانتشار ظاهرة الاستعمار الأوروبي في العالم، ورواج الفكر الفلسفي الغربي الذي كُرّس للنّفعيّة والماديّة والفردانيّة، ممّا أفرز منظومة قيميّة جديدة قدّمت تصوّرا أحاديّا للإنسان، وزحزحت بموجبها المضامين الاجتماعيّة والتّوحيديّة، هذه المرحلة التي انعكست على المجال الفكري في العالم الإسلامي بحالة السّجال التي دارت بين أصحاب الفكر الإسلامي من جهة، والفكر العلماني الرّأسمالي والشّيوعي من جهة أخرى، وتأتي أهمّية دراسة فكر مالك بن نبيّ من خلال بروز فئة من المثّقفين الّذين تبنّوا فكره ودافعوا عن نظريّاته الفكريّة، في مختلف بقاع العالم العربي والإسلامي، بل تجاوزت تلك النّظريات الحدود الجغرافيّة والدّينيّة، فاهتم العديد من الباحثين على اختلاف أجناسهم ودياناتهم بمؤلّفاته الفكريّة، واستقوا منها أفكارهم، وبنوا حولها العديد من الدّراسات العلميّة القيّمة، خاصّة في مجال علم الاجتماع.

إنّ مكانة مالك بن نبي العلميّة، وما تركه لنا من رصيد فكري في مؤلّفاته، ومحاضراته المدوّنة في السّاحة الفكريّة، تجعل من دراستنا لمشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة عند مالك بن نبي ضرورة بحثيّة للمهتمّين بقضايا الأخلاق في المجتمعات المعاصرة اليوم، وذلك لفهم أبعاد انعكاس مشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة على الإنسانيّة، وكذا دراسة مدى تأثيرها على شبكة النّسيج الاجتماعي، فالصّورة المطروحة اليوم حول موضوع الأخلاق في مجتمع عالم القرية الواحدة، توضّح لنا مدى خطورة ما يحدث من تغيّرات في سيكولوجيا المجتمعات المعاصرة، و ما أفرزته من فوضى واضطراب على مستوى الفكر والسّلوك، إذ تؤكّد أهم الدّراسات المطروحة على ضرورة معالجة مشكلات الحضارة الغربيّة، والبحث في المشكلات الأخلاقيّة التي أفرزتها الحياة الإنسانيّة المعاصرة، من أجل حفظ السّلام العالمي الذي يعدّ أحد أهمّ القضايا التي تهمّ المجتمع الدّولي المعاصر، فالحضارة الغربيّة الّتي كرّست لمبدأ القوّة والمادّة والعقل، على حساب العقيدة، والأخلاق، والسّلام، تسبّبت في تعميق الفجوة بين العالم المتقدّم، والعالم المتخلّف، ممّا أدّى إلى تراجع الحسّ الإنساني، وضمور البعد الأخلاقي، الّذي قد يؤدّي بالإنسانيّة إلى العودة لإنسان ما قبل الحضارة، بعد ما وصلت إليه الحضارة الإنسانيّة عبر التّاريخ من تقدّم، ورقيّ في كافّة المجالات، وعلى مختلف الأصعدة، لذا سنحاول في هذه الدّراسة أن نتعمّق أكثر في طرح هذا الموضوع، من خلال استقراء مؤلّفات ابن نبي الّتي تناولت مفهوم الأخلاق، ووظيفتها في المجتمعات الإنسانيّة عامّة، ومشكلتها في الحضارة الغربيّة حسب رؤيته النّقديّة، وتصوّره لدور الأخلاق في صناعة

الحضارة واستمرارها.

وانطلاقا ممّا سبق، نطرح الإشكاليّة المركزيّة التّالية: ما الرّؤية النّقديّة التي يطرحها ابن نبي عن مشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة؟

ومن رحم هذه الإشكاليّة تتفرّع الأسئلة التّالية: كيف عرّف ابن نبي مفهوم الأخلاق؟، وما هي أهمّ المجالات التي برزت فيها هذه مشكلة؟ وما هي آثارها السلبيّة وأبعادها في الحضارة الغربيّة، التي انعكست على المجتمعات المعاصرة؟ وما البدائل التي يقدّمها ابن نبي للعالم المتقدّم لصياغة دستور أخلاقي عالمي يمكّن الإنسانيّة من تصحيح مسار الحضارة، والذي يمكن من خلاله للمجتمعات المعاصرة اليوم أن تعيش بسلام؟

1.1. أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحديد الرّؤية النّقديّة لمشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة عند مالك بن نبيّ، وللوصول إلى النّتائج المرجوّة من هذا البحث استخدمنا المنهج التّحليلي باعتباره الأنسب لهذه الدّراسة، كما قمنا بتقسيم بحثنا إلى المباحث التّالية:

- المبحث الأوّل: ضبط مصطلحات البحث
- المبحث الثّاني: مشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة في المجال الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والسّياسي الدّولي.
- المبحث الثّالث: مقترحات ابن نبيّ لمعالجة مشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة.

2. ضبط مصطلحات البحث:

1.2. مفهوم الرّؤية:

- لغة: "من مصدر رأى، فيقال أنا أراه والأصل أرآه، يرى ونرى وترى على التّخفيف، قال بعضهم يحقّقه فيقول وهو قليل: يزيد يرأى رأيا حسنا، كقولك يرعى رعيا حسنا" (ابن منظور الأنصاري، 1119م، صفحة 1538) وفي المعجم الوسيط "رأى بعضهم بعضا تصدّى له ليراه، ظهر، والشّيء أبصره" (مصطفى، 2004م، صفحة 320)، أما في معجم اللّغة العربية المعاصرة" الرّؤية (ج) رؤًى لغير المصدر مصدر: رأى، حالة أو درجة كون الشّيء مرئيًا، وتعني أيضا: اختلاط الرّؤية غموض الأمر وعدم ظهور الصّواب فيه، ذو رؤية مظهر أو مبدٍ آراء صائبة، رؤية ثاقبة، رأيٌ سديد رؤية موحّدة". (مختار، 2008م، صفحة 840)

- اصطلاحا: عرّفها (الدّيب) على أنّها التّصوّر الكامل لما سيكون عليه مستقبل المؤسّسة، وهي الفكرة القويّة، والقوّة النّافذة التي تملأ وتستحوذ على وجدان، وعقل أفراد المؤسّسة. وتشحذ مواهبهم وتفجّر طاقاتهم لتمنحهم الإرادة، والتّحدّي، والانتصار في تحقيق أحلامهم، (سعد مجاهد، وآخرون، 2016م، صفحة 47) ونقصد بالرّؤية في هذه الدّراسة، وضع تصوّر فلسفي حول مفهوم الأخلاق، ووظيفتها وقوّتها في تنظيم الحياة الإنسانيّة.

2.2. مفهوم النّقد

– لغة: "يعرّف النَّقْدُ بأنّه: " تميّز الدّراهم وإخراج الدّراهم وإخراج الزيف منها، وكَذَا تَمييزُ (غَيْرِها، كالتَّنْقَادِ والتَّنَقُّدِ)، وَقد نقدها ينقدها نَقْداً، وانْتَقَدها، وتَنَقَّدها، إِذا مَيَّزَ جَيِّدها مِن رَدِيئها" (ابن منظور الأنصاري، 1119م، صفحة 4517) " نقَدَ يَنقُد، نَقْدًا، فهو ناقد، والمفعول منقود، نقَد الشّيءَ: بين حسنَه ورديئه، أظهر عيوبه ومحاسنه "لا يُبصر الدّينارَ غيرُ النّاقِدِ: لا يبصر حقيقة الأمر إلاّ الخبير به"، نقَد النّاس: أظهر ما بهم من عيوب" عرّض نفسه لنَقْد لاذع، يثير نقدًا حادًّا" (مختار، 2008م، صفحة 2264).

– اصطلاحا: يُعرّف النّقد "بأنّه دراسة الأشياء وتفسيرها، وتحليلها، وموازنتها بغيرها من المشابهة لها أو المقابلة، ثمّ الحكم عليها وبيان قيمتها ودرجتها، وأكثر الّذين كتبوا في النّقد العربي مشوا على هذا المعنى" (خفاجي، 1995م، صفحة 10)، والنّقد "هو تصوّر فلسفي يبحث في الماهيّات، أي في أصول النّظريات وجذورها المعرفيّة، وخلفيّاتها الفلسفيّة، ونشأتها وتطوّرها حتى خبت جذورها" (بجة، 2005م، صفحة 31).

3.2. تعريف الحضارة الغربيّة:

تُعدّ الحضارة الغربيّة المعاصرة امتدادا للحضارة الأوروبيّة، التي استمدّت قيمها من التّراث الإغريقي والرّوماني والمسيحي، حيث يعتبر هنتنجتون أنّ الحضارة الغربيّة هي "الحضارة الكونيّة" بينما غيرها "حضارات إقليميّة"، ويحدّد معنى الحضارة على أساس الفوارق الثّقافية، لذلك فإنّ قائمة الحضارات عنده تعكس الفوارق الحقيقيّة بشأن اللّغة، والثّقافة، والتقاليد، والدّين، إذ يراه القسمة الأهمّ في تمييز حضارة عن غيرها، (باترسون، 2001م، صفحة 9)، وهي الحضارة التي تطرح شعارات الدّيمقراطيّة، وحقوق الإنسان والتّجديد، والعولمة، وغيرها من الشّعارات التي صدّرتها لدول العالم الثّالث، وتضمّ الحضارة الغربيّة النّموذجين الأوروبي والأمريكي، وبعض الدّول التي استوطنها الأوروبيّون مثل أستراليا، ونيوزويلاندا، (كريمة لطيف، 2019م، صفحة 179) وهي الحضارة التي قرّبت المسافات بين الأجناس الإنسانيّة، ووحّدت مشاكلها وآمالها وطموحاتها، ومن أهمّ مميّزات الحضارة الغربيّة تبنّي معظم شعوب العالم أنظمة أنماط الحياة التي أبدعها الغرب، مع انتشار النّموذج الاستهلاكي الغربي، بالإضافة إلى انتشار الإنتاج الصّناعي والتّكنولوجي الغربي في العالم كلّه، بل في كلّ بيت في العالم، وليس في كل مجتمع فقط، فالعالم "أخذ يتأمّرك" (عاشور، 2016، صفحة 378) .

4.2. مالك بن نبيّ :

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي، ولد في مدينة قسنطينة – أحدى المدن الجزائريّة – في السّادس من ذي القعدة 1323هـ الموافق للثامن والعشرين من يناير 1905م، أنّ ولادته في تلك الفترة من الزّمن مكّنته من الشّهادة على القرن، حيث أتيحت له فرصة الاتّصال بالماضي والمستقبل، ومن هنا ندرك السّبب الذي جعل مالكا يطلق على مذكّراته اسم مذكّرات شاهدٌ للقرن. (العويسي، 2012م، الصفحات 51-52) وهو أحد أهمّ المفكرين الّذين جَنّدوا أقلامهم وأفكارهم لمعالجة مشكلات الأمّة، فقد ناقش بن نبيّ مشكلة الاقتصاد، والثّقافة، والسّياسة، وطرح فكرة الوحدة الإسلاميّة، والأفروآسويّة، وغيرها من القضايا المصيريّة التي واجهت الأمّة في الحقبة الاستعماريّة، حيث وجّه نظريّاته

الفكريّة لحلّ تلك المشكلات تحت مسمّى مشكلات الحضارة، محاولا تشخيص الدّاء، وعرض الدّواء، الذي لم يحد في طرحه عن ثوابت الأمّة الإسلامية، فكان يستند في معظم إجاباته ومقترحاته الفكريّة التي كان يوضّح فيها الرّؤية الصّحيحة لكيفية النّهوض من براثن التّخلف؛ من خلال العودة لقيم الرّسالة الإسلاميّة بكل أبعادها (القرآن الكريم، السّنة النبوية، التّراث الإسلامي).

لقد عانى مالك بن نبي في أواخر حياته من الإرهاق والألم في عينيه، ورأسه، بعد سقوطه على الأدراج عند خروجه من البيت الواقع في شارع روزفلت بالجزائر العاصمة، ورغم علاجه في الخارج بقي متأثّرا بهذه الحادثة، إلى أن توفّي يوم 31 أكتوبر 1973 في الجزائر (عويمر، 2013م، الصفحات 29-30).

5.2. مفهوم المشكلة:

لغة: هي قضية مطروحة تحتاج إلى معالجة أثار المتحدّث، (ج) مشكلات ومشاكل مطروحة تحتاج إلى معالجة، وصعوبة يجب تذليلها للحصول على نتيجة ما، كمشكلة الشّرق الأوسط (مختار، 2008م، صفحة 1229) .

اصطلاحا: يعرّفها محمد الغريب في مجال البحث العلمي على أنّها: "سؤال لا توجد إجابة عليه في ذهن الباحث، وهو عادة ما يتضمّن مسائل بعيدة عن الحياة الشّخصيّة، أو قريبة أحيانا تلزم الإجابة عليه لتحقيق فائدة معيّنة، أو نفع خاصّ للمجتمع، أو إضافة للعلم أو التّراث النّظري" (محمد الغريب، 2000م، صفحة 86)، ويعرّفها الدّكتور فهمي الغزوي في المجال الاجتماعي: "بأنّها أحداث سلبيّة تحدث في المجتمعات البشريّة، تمثّل اضطرابا أو تعويقا لسير الأمور، ممّا يتسبّب في توليد نوع من المفارقات بين المستويات المرغوبة من قبل الأفراد في المجتمع، وبين الظّروف الواقعيّة، ممّا يتطلب من أفراد المجتمع وجماعاته أن يفتّشوا عن الوسائل الكفيلة بمعالجتها" (خضر، 2013م) .

6.2. مفهوم الأخلاق

- يُواجه مفهوم الأخلاق اختلافات فلسفيّة وفكريّة عديدة في تحديد معانيه ودلالاته، لذا علينا العودة إلى تموضعاته في سياقات حضاريّة، وثقافيّة متنوّعة، وقد آثرنا دراسة هذا المفهوم في سياقين فكريّين يتمثّل الأوّل في الفكر الإسلامي، بينما يتمثَل الثّاني في الفكر الغربي المعاصر.

7.2. مفهوم الأخلاق في الفكر الإسلامي :

الأخلاق في اللّغة العربية جمع " خُلُق" بضمّتين أو "خَلق" بضمّة وسكون، وجرى تعريف الأخلاق في المعاجم اللّغويّة في طرح واحد (قوامة الخِلْق والجِبلّة والطَّبع والسّجيّة) فقد أورد ابن منظور، هذه اللّفظة بصيغ منها: الخِلْقَة (بكسر الخاء، وسكون اللّام) بمعنى الفطرة، والخلق(بضمّ الخاء، وسكون اللّام) بمعنى الطّبيعة، فاللّفظتان جاءتا بمعنى الدّين، والطّبع، والسّجيّة وهي ما خلق عليه من الطّبع وحقيقة الخِلْق، أنّه صورة للإنسان الباطنيّة، وهي نفسه، وأوصافها ومعانيها المختصّة بها بمنزلة الخلق لصورته الظّاهرة، وأوصافها ومعانيها، ولهما أوصاف حسنة وقبيحة، ويقال: أَخْلَقَ الرّجل إذاَ صار ذا أخلاقٍ" (ابن منظور الأنصاري، 1119م، صفحة 86)، كما يرى فخر الدّين الرّازي أنّ الخُلُقَ: " الخُلُقَ ملكة نفسانيّة يسهل على المتّصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة" (الجابري، 2001م، صفحة 37).

ويرى أبو حامد الغزالي أنّ الخُلُقَ والخَلْقَ:" عبارتان مستعملتان معًا، فيقال فلان حَسَنُ الخُلُقِ والخَلْقِ- أي حسن الباطن والظّاهر- فيراد بالخَلْقِ الصّورة الظّاهرة، ويراد بالخُلُقِ الصّورة الباطنة، فالخُلُقِ عبارة عن هيئة في النّفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة، ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلا، وشرعا، سمّيت تلك الهيئة خُلُقًا حسنا، وإن كان الصّادر عنها الأفعال القبيحة سمّيت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سَيّئًا، وإنّما قلنا إنّها هيئة راسخة، لأنّ من يصدر منه بذل المال على النّذور لحاجة عارضة، لا يقال خُلقُه السّخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخٍ، وإنّما اشترطنا أن تصدر الأفعال بسهولة من غير رويّة، لأنّ من تكلّف بذل المال أو السّكوت عند الغضب بجهد ورويّة، لا يقال خُلُقه السّخاء والحلم".

ويرى الغزالي أنّ أمّهات الأخلاق وأصولها أربعة:الحكمة والشّجاعة، والعفّة والعدل، ونعني بالحكمة: حالة للنّفس بها يدرك الصّواب من الخطأ في جميع الأفعال الاختياريّة، ونعني بالعدل: حالة للنّفس، وقوّة بها تسوّس الغضب، والشّهوة، وتحملها على مقتضى الحكمة، وتضبطها في الاسترسال، والانقباض على حسب مقتضاها، ونعني بالشّجاعة: كون قوّة الغضب منقادة للعقل في إقدامها، وأحجامها، ونعني بالعفّة: تأدّب قوّة الشّهوة بتأدّب العقل والشّرع، فمن اعتدال هذه الأصول الأربعة تصدر الأخلاق الجميلة كلّها" (الغزالي أ.، 1426هـ/2005م، الصفحات 935-936).

ويؤكّد الغزالي أنّ الأخلاق تحتاج إلى الرّياضة الرّوحية، بعدّ الأخلاق هيئة نفسيّة تستقيم بالمجاهدة، فيقول في هذا الشّأن:" أنّ بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرّياضة، والاشتغال بتزكية النّفس وتهذيب الأخلاق، فلم تسمح نفسه بأن يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخلته، فزعم أنّ الأخلاق لا يتصوّر تغييرها، فإنّ الطّباع لا تتغيّر، فلو كانت الأخلاق لا تقبل التّغير لبطلت الوصايا والمواعظ، والتّأديبات لمّا قال رسول: "حسنوا أخلاقكم" (الغزالي أ.، 1426هـ/2005م، صفحة 937)، ولا يتعارض هذا التّعريف مع ما قاله ابن مسكويه: "حال للنّفس داعية لها، إلى أفعالها من غير فكر ولا رويّة، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين منها ما يكون طبيعيّا من أصل المزاج والطّبع، كالإنسان الّذي يحرّكه أدنى شيء نحو الغضب، ويهيج من أقلّ سبب، ومنها ما يكون مستفيدا بالعادة والتّدريب، وربّما كان مبدؤه الفكر، ثم يستمرّ أوّلا حتى يصير ملكة وخلقًا" (ابن مسكويه، 1329هـ، صفحة 25).

كما تعرف الأخلاقُ على أنّها: "مجموعة صفات نفسيّة وأعمال الإنسان التي توصفُ بالحسن أو القبيح، والأخلاق علم موضوعه أحكام قيميّة تتعلّق بالأعمال الّتي توصف بالحسن أو القبيح" (مصطفى، 2004م، صفحة 252)، وفي معجم اللّغة العربيّة المعاصرة "يقال أخلاق اجتماعيّة، أي عادات أو قيم اجتماعيّة تختلف باختلاف الظّروف" (مختار، 2008م، صفحة 688) " والأخلاقي هو ما يتقن قواعد الأخلاق، أو قواعد السّلوك المقرّرة في المجتمع، وعكسه لا أخلاق"، (مصطفى، 2004م، صفحة 252)، "وعلم الأخلاق أحد أقسام الفلسفة، وهو علم نظري يحدّد مبادئ عمل الإنسان في العالم، وغرضه تحديد الغاية العليا للإنسان، فهو علم بالفضائل وكيفية التّحلي بها، والرّذائل وكيفية تجنّبها" (مختار، 2008م، صفحة 688).

- مفهوم الأخلاق في الشّرع: تأخذ الرّسالة الأخلاقيّة في الإسلام دورتها الإنسانيّة العظمى، وتتجلّى

هذه الرّسالة في قول النبي الأكرم :" إنّما بُعثت لأُتمم مكارم الأخلاق" (مالك ا.، 1406هـ/1985م، صفحة 904)، وكان الإسلام كالدّيانات السّابقة يتضمّن دعوة أخلاقيّة متكاملة، شملت أعظم وأسمى وأرقى أصقاع الأرض، ومضاربها، انطلاقا من سموّ القيم الّتي نادى بها وأعلنها.

- الأخلاق قي القرآن الكريم: جاء لفظ الأخلاق في القرآن الكريم في قوله تعالى لنبيّه وحبيبه مثنّيا عليه ومظهرًا لنعمه:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم : 4]، أي على دين عظيم، وهذا ما نقل عن الضّحّاك، وابن عباس، ومجاهد، وابن يزيد، أمّا الماوردي فقد فسّر الآية: أي على طبع كريم، (أحمد، إيهاب كمال، 2014م) ، كما حدّد النّبيّ الكريم مفهوم الأخلاق من خلال الآيات القرآنيّة، عندما سأله رجل عن حسن الخُلُقِ فقال:﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : 199] ثمّ قال:" هو أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك" (الطبراني، 1409 هـ/1989م، صفحة 32) .

- الأخلاق في السّنة النّبويّة: جاءت الأخلاق في السّنة بمعنى الدّين، فقد سئلت أمّنا عائشة رضي الله عنّها عن النّبي قالت:" كان خلقه القرآن" (ابن حنبل، 2001م، صفحة 15)، أي متمسّكا بالقرآن، وبآدابه وأوامره ونواهيه، وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف، كما جاءت بمعنى البرّ والحلم، فقد جاء رجل إلى رسول ، فقال: يا رسول الله أيّ العمل أفضل؟ قال: "حُسْنُ الخُلُقِ" ثمّ أَتَاهُ من قبل شماله فقال: أيّ العمل أفضل؟ فقال: "حُسْنُ الخُلُقِ" ثمّ أتاه من بعده فقال: يا رسول الله، أيّ العمل أفضل؟ فالتفت إليه وقال: "أمّا تفقه؟ "حُسْنُ الخُلُقِ هو أن لا تغضب ما استطعت" (المزوزي، 1406هـ، صفحة 865)، وقال رسول الله : "البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ" (مسلم، 1412هـ/1991م، صفحة 1980)، وحُسْنُ الخُلُقِ هو التّخَلُّقِ بأخلاق الشّريعة، والتّأدُّبِ بآداب الله الّتي أدّب بها عباده في كتابه العزيز، وتخلّق بها نبيّه الكريم وعباده الصّالحين.

- عبد الكريم زيدان: يرى الدّكتور زيدان أنّ الأخلاق هي مجموعة من المبادئ، والقواعد المنظّمة للسّلوك الإنساني، والتي يحدّدها الوحي من أجل تنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقّق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه؛ فالأخلاق في الإسلام هي جمع شامل في منظور متكامل بين مصدرها وطبيعتها، ومغزاها الاجتماعي وغايتها، فالأخلاق مجموعة من المعاني، والصّفات المنحصرة في النّفس، وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان، أو يقبّح، ومن ثمّ يقدم عليه أو يحجم عنه. (زيدان، 1976م، الصفحات 75-79) .

- محمد الغزالي: يرى الشّيخ في كتابه خُلُقِ المسلم أنّ الأخلاق يصنعها الإيمان القويّ، الّذي يلد الخُلُق القويّ، وأنّ انهيار الأخلاق مردّه إلى ضعف الإيمان، أو فقدانه، بحسب تفاقم الشرّ أو تفاهته، مؤكّدا بأنّ الإيمان والصّلاح والأخلاق عناصر متلازمة، متماسكة، لا يستطيع أحد تمزيق عراها، فليست الأخلاق من موادّ التّرف التي يمكن الاستغناء عنها، بل هي أصول الحياة الّتي يرتضيها الدّين، ويحترم ذويه. (الغزالي م.، 1987م، الصفحات 10-12-13)

- علي شريعتي: يعتبر الأخلاق قوّة، أو ملكة تدفعك للقيام بالأعمال الحسنة، وتنهاك عن فعل الأعمال السّيئة، كما يرى أنّ علم الأخلاق هو العلم الّذي يبيّن للإنسان الأعمال الحسنة الّتي ينبغي القيام

بها، والأعمال السّيئة التي ينبغي تجنّبها، فبحسب رؤية شريعاتي، هو العلم الذي يدلّنا عن الأمور الحسنة، والأمور السّيئة. (شريعاتي، العودة إلى الذات، 1986م، الصفحات 11-13).

- بناءً على ما تقدّم من التّعريفات اللّغويّة، والاصطلاحيّة التي تناولناها في تحديد مفهوم الأخلاق في الفكر الاسلامي، نجد أنّ أغلب التّعريفات في الفكر الإسلامي ركّزت على النّقاط التّالية:

1- الأخلاق حالة نفسيّة تحثّ الإنسان على فعل الخير.

2- الأخلاق تحتاج إلى الرياضة الروحيّة التي تعزّز الدّوافع النّفسيّة عند الإنسان، وتحثّه على الأعمال الحسنة، وتبعده عن الأفعال القبيحة.

3- تناول العلماء والدّعاة مفهوم الأخلاق على مستوى التّفسير الشّرعي، فمنهم من عدّها الدّين، ومنهم من طرحها في إطار الإيمان، ومنهم من تجاوز هذا الطّرح واعتبرها قواعد تنظّم الحياة الإنسانيّة.

- ترى الباحثة أنّ الأخلاق هبة ربّانية تبرز معالمها، وتتّضح من خلال علاقة الإنسان بربّه، ومحيطه الاجتماعي، وهي المحدّد الرّئيسي الذي يمكّن الباحثين من تحديد مدى توازن الإنسان النّفسي، والرّوحي من خلال ملاحظة مدى انضباط سلوكه واندماجه مع أقرانه في المجتمع، كما ترى أن الأخلاق في بعدها السياسي تكشف عن سلّم القيم الذي يتم تطبيقه في أي نظام سياسي، والذي بدوره يبرز مدى قدرة أصحاب القرار في هذه الدولة على التعايش مع شركائهم في المجتمع الدولي، سواء أكان ذلك على مستوى الإقليمي أو الدّولي.

8.2. الأخلاق في الفكر الغربي المعاصر:

- اشتقّت لفظة الأخلاق "**morale**" من الأصل اللّاتيني " **morales**"، وتشير الكلمتان إلى الأخلاق والآداب والقيم الأخلاقيّة السّائدة في المجتمع بصورة عامّة، أمّا لفظة "**ethique**" فهي مشتقّة من اللّفظة الإغريقيّة "**ethikos**"، ويقابلها في اللّاتينيّة "**ethica**"، وتعني أيضا في استخداماتها العامّة النّظام الأخلاقي المعياري لجماعة، أو مجتمع محدّد، حيث يعمل على توجيه سلوك الأفراد نحو الفضيلة، والحقّ والخير، والواجب، والقيم الأخلاقيّة بصورة عامّة، وقد استخدم مفهوم " **ethiqu**" لأوّل مرّة في اللّغة الفرنسيّة، في القرن الثّالث عشر بمعنى الأخلاق والآداب، وتتداخل لفظة "**ethique**" تداخلا كبيرا من كلمة "**morales**" حتّى أنّه يصعب الفصل بينهما، وتشير كلّ منهما إلى الطّريقة الّتي يعيش فيها النّاس وفقا للقيم والمبادئ الأخلاقيّة، طلبا للخير وتجنّبا للشرّ، ويميّز موريو بين كلمتين، فيرى أنّ كلمة "**ethique**" ترمز إلى دراسة السّلوك الأخلاقي عند الأفراد، أمّا كلمة "**morale** " فتعني نظاما من المعايير، والقيم، والمبادئ الأخلاقيّة الّتي تنظّم سلوك الأفراد، أمّا كلمة " **deontoloqi**" (علم الأخلاق المهنيّة)، فقد ظهرت على يد جيريمي بنتام في كتابه المعروف "**posthume**" الّذي نشر سنة (1834) وعني بها علم الأخلاق " **science ofmorality**" ولكنّ استخدام هذه الكلمة في "**deontoloqie**" الفرنسّية بدأ في القرن العشرين، وتعني علم الواجب " **lascience des devoirs** " وهي قريبة في معناها من" **ethique** "، أي علم الأخلاق (وطفة، 2013م، الصفحات 98-99) .

- إميل دور كايم (1858-1917) عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي: يرى بأن الأخلاق من صنع المجتمع، فالقواعد الأخلاقيّة خارجة بحسب وصفه عن شعور الطّفل، وهي تتكوّن في محيط خارج عنه،

ولا يتّصل بها إلّا بعد بلوغه مرحلة معيّنة من حياته" (كايم، 2015م، صفحة 140) كما يرى أنّ وظيفة الدّين تقتصر على حماية الأخلاق، فالنّظام الخلقي لم يشرع للآلهة وإنّما شرع للنّاس، مؤكّدا أنّ الرّباط الوثيق الّذي كان يربط قديما الأخلاق بالدين، أخذ بمضي الزّمن ينحلّ شيئا فشيئا، لذا يحثّ العلماء أن يكشفوا الغطاء عن القوى الأخلاقيّة، التي لم يستطع النّاس حتى الآن تصويرها، إلّا في صورة رموز دينيّة، ويبرزها في حقيقتها العقليّة العارية، لذا يجب إيجاد الوسائل لإشعار الطّفل بحقيقتها دون الرجوع إلى أي وسيط ديني. " (كايم، 2015م، الصفحات 9-13)

- كارل ماركس (1818- 1883م) عالم اجتماع واقتصاد ألماني: انطلاقا من نظريته الاقتصادية يعتبر بأنّ الأخلاق ثمرة للتّحوّلات الاقتصاديّة التي تحدث في حركة المجتمعات الإنسانيّة، وهو بذلك ينظر للنظريّة الاقتصادية الّتي أسّسها هو، وعالم الاقتصاد فريدريك إنجليز، مؤكّدا أنّ الأخلاق ما هي إلّا أداة من أدوات الأسياد للسّيطرة على العبيد وتوضح لوفابر هنري ذلك قائلة:" فالأخلاق كانت دائما أدوات تستخدمها طائفة اجتماعية معينة أو طبقة محدودة للسيطرة على سائر الطبقات، ولقد دلل ماركس وضرب مئات الأمثلة على أن التاريخ، لم يعرف أخلاقا للسادة وأخلاقا للأرقاء، بل عرف التاريخ في كل مرحلة من مراحله أخلاقا يضعها السادة للأرقاء...ثم تأتي النظم الأخلاقية وتعابير الشرف والخضوع، والخدمة والاستقامة، فتصاغ منها آخر قيود للعبيد وأشدها إحكاما (القوانين التشريعية والدينية) (لوفابر، 1952م، الصفحات 66-67)، فماركس وأنصاره يحاولون تبيئة مسألة الأخلاق في إطار الفكر الماركسي ضمن ثنائيّة "البرجوازية والبروليتاريا" (ابن عطية، 2018م، صفحة 247).

- دفيد هيوم (1711- 1776) فيلسوف ومؤرّخ واقتصادي اسكتلاندي: يفسر مصدر الأخلاق على أساس عاطفي، وهو أحد منظّري النّظريّة العاطفيّة، يرى مع كل من آدم سميث وشوبنهاور وغيرهم من أصحاب النّظريّة العاطفيّة: "أنّ التّعاطف هو مصدر الاستحسان، أو الاستهجان حتى يصبح أخلاقيّا، يتوجّب أن يكون التّعاطف محايدا ونزيها بالنّسبة لأفعال الآخرين، وأفعالنا نحن، ثمّ بالنّسبة لأفكارهم، فلا أساس عقليا للأحكام الخلقية بحسب تصوّرهم، لأنّ العقل لا يقرّر الغايات، وهذا ما يصرّ عليه دفيد هيوم، فالحكم الخلقي لا يقوم على أساس العقل، وأنّ هذا الاتّجاه بالطّبع هو الّذي مهّد لتفسير المسألة الخلقيّة الدّقيقية، وكيفيّة تحديد السّلوك القويم تفسيرا قائما على المنفعة، ونفي كلّ علاقة بين الأخلاق والدّين" (هارون، 2017م، صفحة 17)، فالعقل عنده ليس أداة للحكم الأخلاقي، وليس دافعا للأفعال الخلقيّة، بل مهمّته تحليل عناصر الموقف الّذي نحن أمامه في لحظة معيّنة فعلى أساس الشّعور العاطفي نتحرّك نحو الفعل أو ننفر منه.

- إيمانويل كانط (1724- 1804): افتتح كانط مشروعه الأخلاقي بالحديث عن معيار القيم الأخلاقية، أي قوانين ما يجب أن يكون، وفي هذا يقول: "لا يوجد شيئ يمكن عدّه خيرا على وجه الإطلاق ودون قيد، اللّهم إلاّ شيئا واحدا هو الإرادة الخيّرة" (كانت، 2002م، صفحة 37)، فالإرادة الخيّرة هي النّيّة الخيّرة التي تدفع الإنسان لفعل الخير، فهي كما يوضّح كانط: "لاتكون خيّرة بما تحدثه من أثر، أو بما تحرزه من نجاح، ولا بصلاحيّتها للوصول إلى هذا الهدف أو ذلك، بل إنّها تكون كذلك عن طريق فعل الإرادة وحده، أعني أنّها خيّرة في ذاتها" (كانت، 2002م، الصفحات 39-40).

- لقد نظَر كانط لمشروع أخلاقي يتحدّث فيه عن فكرة الواجب الذي يتجوّب من خلاله أداء الفعل الأخلاقي، تأكيدا منه على القانون الأخلاقي، وهو القانون الّذي يؤكّد من خلاله أنّ الفاعل الأخلاقي يتصرّف أخلاقيّا، إذا سيطر العقل على كلّ ميوله، ويربط كانط بين الإرادة والقانون الكلّي مباشرة ، كما حدّد قواعدٌ للأخلاق في إطار الواجب.

1- القاعدة الأولى: إفعل كما لو كانت قاعدة فعلك يجب أن تقيّمها إرادتك قانونا كليّا للطّبيعة.

2- القاعدة الثّانية: إفعل بحيث تعامل الإنسانيّة في شخصك، وفي شخص سواك دائما، وفي الوقت نفسه، وليس على أنّها مجرّد وسيلة.

- لقد تناول كانط مشروع السّلام العالمي، فخصّص له بحثا مفصّلا تحت عنوان "نحو مشروع سلام دائم، مقترحا فيه خطّة ليتمّ بها إحلال سلام يشمل الأرض بكاملها معتمدا على البنود التّالية:

1- يجب أن يكون النّظام السّياسي لكلّ دولة هو النّظام الجمهوري.

2- يجب أن يكون القانون الدّولي مؤسّسا على اتّحاد فدرالي بين الدّول الحرّة.

3- لايجوز لأيّ دولة أن تتدخّل في نظام وحكم دولة أخرى (خدة معمر، 2010م/2011م، صفحة 47).

- يُحدّد المفكّرون الغربيّون مفهوم الأخلاق من خلال الدّلالات الوظيفيّة، كما يركّزون على أهمّ الفروع الاصطلاحيّة التي تنسب لهذا المصطلح كالأخلاق المهنيّة، والسّلوك الأخلاقي، والواجب الأخلاقي، وغيرهم، مستبعدين في تحديدهم لهذا المصطلح الجوانب الدّينيّة، فأغلب الدّلالات اللّغويّة تعتمد على تحديد القواعد والظّوابط القانونيّة، الّتي يتحرّك من خلالها هذا المصطلح، وعموما ينحصر مفهوم الأخلاق في الفكر الغربي في النّقاط التّالية:

1- ينطلق أغلب المفكّرين في تحديد دلالات هذا المصطلح من الطّرح اليوناني، باعتبار الفكر الغربي امتدادا للفكر الإغريقي.

2- تتضارب دلالات مصطلح الأخلاق حسب توجّهات المفكرين الفكرية، فمنهم من ركّز على العاطفة واعتبرها العنصر الذي يحدّد مفهوم الأخلاق، ومنهم من اعتبرالصّراع المادّي الطبقي والمبدأ النفعي المعياران اللذان يحدّدان القيم الأخلاقيّة، ويعطيهما السّطوة، فلكلّ طبقة أخلاقها الخاصّة بها، كما يرى المفكّرون الشيوعيّون، ومنهم من اعتبر الأخلاق كيانا نابعا من الإرادة الخيّرة الموجودة داخل الكائن الواعي، وعلى أساسها نظر القواعد والضّوابط القانونيّة التي يوظّف من خلالها الواجب الأخلاقي.

3- الأخلاق مفهوم ارتبط بشكل مباشر بالحياة الاجتماعيّة، هذه السّمة العامّة لأغلب التّحليلات الفكريّة التي تناولها المفكرون الغربيّون، والمعاصرون، واستبعد من خلالها الجوانب الرّوحية، والدّينيّة التي تحدّد هذا المفهوم، فلكل مجتمع قيمه الأخلاقيّة بحسب تصوّراتهم.

- الرّؤية النقدية لمفهوم الأخلاق في الفكر الغربي عند مالك بن نبي: ناقش ابن نبي مفهوم الأخلاق، وأهمّ النّظريّات الغربيّة الّتي فسّرت الأخلاق تفسيرًا اقتصاديّا، أو عاطفيّا، أو اجتماعيّا، أو تفسيرا يستبعد الدّين، ويجرّده من دوره في صناعة هذا الفعل الإنساني، كما يروّج لذلك المفكرّون الغربيّون على اختلاف توجّهاتهم، وحتّى يبرهن عن موقفه النّاقد لهذه الأفكار في مناقشته الفلسفيّة، انطلق من التّساؤلات التّالية

قائلا: "هل ينتج المجتمع تلقائيًا القيمة الخُلقيّة التي تدفع تغييره في اتجاه غايته؟"، وهل يمكن لمجتمع معيّن أن ينتج قيمة خلقيّة؟"، وحتّى ينفي هذه التّفسيرات انطلق في دراسته لمفهوم الأخلاق من ظاهرة (وأد البنات) التي كان يعيشها المجتمع الجاهلي تلك الظاهرة التي وثقها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل: 58-59] واعتبرها مشكلة اجتماعية تمكنه من دراسة هذا المصطلح فيقول: "تلك (حالة) سوف نجد فيها قيمة خُلقيّة تؤثّر، بعدّها قوّة من قوى التغيير في نطاق مجتمع، هو المجتمع الجاهلي، في الوقت الذي كان يتهيّأ فيه لدخول التّاريخ، حيث وجّه القرآن إلى عرب الجاهليّة خطابه في موضعين:

1- سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: 151]

2- سورة الإسراء في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء:31] (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 49)

- نقد النّظريّة الاقتصاديّة: ينطلق ابن نبي في رؤيته لنفي هذه النّظريّة من سؤاله: "هل القانون- يقصد التّشريع في الآيتين الكريمتين- الموؤدة هو نتيجة الظّروف الاقتصاديّة كما يحدث في عصرنا في تفسير الأشياء اليوم؟، معتبرا أننا إذا تناولنا هذين النّصين باعتبارهما وثيقتين من وثائق العصر، حيث تؤكّد الوثيقة أنّ الظّروف الاقتصاديّة التي عاشها العصر الجاهلي لها أكبر الأثر في نشأة تلك العادة الأليمة، إن لم تكن هي العامل الوحيد، فالنّصان يعبّران عن قيمة خلقيّة معيّنة، في الوقت الّذي تدخل فيه حياة المجتمع التّاريخ، لا عن طريق الظّروف الاقتصاديّة التي لم تكن تغيّرت بعد، ولكن عن طريق النّفس لتحدث تغييره، فالآيتين الكريمتين في مجموعهما تشريع لقانون معيّن، تماما كما تُسنّ الشّرائع الحديثة في زماننا قوانينها" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 49) "، هذا التّفسير يؤدّي بنا تلقائيًا إلى تناقض صريح، إذ لا يمكن أن يحمل إثبات واقع اجتماعيّ معيّن، ونفي هذا الواقع على أسباب واحدة، فإن قيل أن الوأد نشأ في البيئة الجاهليّة بتأثير أسباب اقتصاديّة، خاصّة بذلك المجتمع، كما تشهد بذلك وثائق العصر وفي مقدّمتها القرآن، فإنّ من العسير أن ينسب نفي هذا الوأد إلى تأثير العوامل الاقتصاديّة ذاتها مادامت لم تتغيّر (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 50).

- نقد النّظريّة العاطفيّة: مثلما رفض ابن نبي التّفسير الاقتصادي في تفسير مصدر الأخلاق، رفض أيضا التّفسير النّفسي أو العاطفي فيقول:"قد يؤدّينا هذا الموقف أي رفض التّفسير الاقتصادي إلى أن نفسّره تفسيرا نفسيا... فليس هذا التّفسير مقبولا أيضا، لأنّ الّذين عاصروا قانون التّحريم المذكور قد مارسوا بأنفسهم تلك العادة الأليمة، وحسبنا أن نضيف أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه- نفسه كان من بين هؤلاء المعاصرين، حتّى يصبح التّفسير التّلقائي غير ذي موضوع أو قيمة شأن التّفسير الاقتصادي. (مالك

ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 50).

– نقد النّظرية الاجتماعيّة: يرى ابن نبي أنّ المجتمع الجاهلي لم يقدّم مفتاحا لمشكلة "وأد البنات" في صورتها العامّة، كما أنّ قانون وأد البنات ليس ثمرة من ثمرات المجتمع الجاهلي فيقول: "إنّ المجتمع قد شهد وجوه حياته تتغيّر فجأة بتأثير بعض القيم الخلقيّة التي شهد مولدها، لينتج حضارة رائعة منذ بدأ نشاطه يستقطب حول مجموعة من القيم الخُلقيّة التي ولّدت في نطاقه، والّتي لا يمكن أن نفسّر سرّ تخلّقها بما كان فيه من الأوضاع الاقتصاديّة والنّفسية، كما وجدنا ذلك واضحا في المؤودة" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 52)، وقد أعطى ابن نبي مثالا حيّا نفى به النّظرّية الاجتماعيّة، من خلال موضوع الزّواج فقال: "إنّنا نجد أنّ كلّ مجتمع معاصر بما في ذلك المجتمعات التي تخلع على نفسها الصّفة المدنيّة، لا يتمّ فيه اتّحاد الجنس إلّا على أساس قيمة خلقيّة معيّنة، هي الزّواج، الذي يبارك اتّحادهما بإشهاره طبقا لخطّة دينيّة رمزيّة؛ وبهذا الإشهار يأخذ اتّحاد الرّجل والمرأة معناه الاجتماعي كله بعده عقدا يتّفق، مع غاية المجتمع لا مع حاجة النوع" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 52).

9.2. مفهوم الأخلاق عند بن نبي :

– مصدرها: يحاول ابن نبيّ جاهدا التّركيز على القيمة الخلقيّة من جانبها الدّيني الذي ينعكس على الفعل الإنساني من خلال صورته الحضاريّة، فالدّين هو الذي يخلق هذا المفهوم في نفس الفرد والمجتمع، فالمجتمع بحسب رؤيته لا ينتج قيما أخلاقيّة، فالعلاقة الرّوحية الّتي تربط بين الله وبين الإنسان، والّتي يعبّر عنها بمصطلح (المقدس) هي الّتي تلد تحرّك العلاقات الاجتماعيّة، وهي التي تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان، وتجسّدها في صور للقيم الأخلاقيّة"، فالدّين يتدخّل في التّركيبة الاجتماعيّة من خلال القيم الأخلاقيّة المتمثّلة في العرف، والعادات، والتّقاليد، والقواعد الإداريّة، والمبادئ التّشريعيّة، وأحيانا تتجسّد في أكثر تشكيلات المجتمع ظهوراً، كما في طوائف المجتمع الهندي " (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 65)، وعليه فهو يرى "أنّ جميع المبادئ الأخلاقيّة دينيّة كانت أو لا دينيّة إنّما تنتهي إلى هذا الأساس المقدّس الذي يرفع فوقه بناء الإنسانيّة الأخلاقي، كما أنّه هو الّذي يؤمّن نشاطها المشترك، بل إنّ جميع التّعاليم المقدّسة التي تديّنت بها الإنسانيّة العذراء، وجميع المبادئ الأخلاقيّة التي اتّخذتها الإنسانيّة المتحضّرة ليست إلّا تنظيما متنوّعاً لتعاليم أخلاقيّة مشتركة" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 95)، لذا فإنّ حركة الإنسان ونشاطه في إطار الحاجة، والمنفعة هو الإطار الذي ينتج الأخلاق من خلال تنفيذ إرادة الله في الأرض، فيقول في هذا الشّأن: "الإنسان يجب أن يشرب ويأكل وينسل ويملك، ويكافح من أجل استمرار النّوع، ولكنّه يجب أن يراقب هذه الأعمال الأوّلية جميعها، وأن يوجّهها لغايات تتّفق وتقدّم النّوع، وهو بهذه الطّريقة يشترك واقعا في عمل الله عزّ وجلّ، فإذا ما حملت الطّبيعة الإنسان على العمل فإنّ ضميره هو الّذي يعطي العمل معنًى تاريخيّا وأخلاقيّا". (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، الصفحات 65-70)، "فالدّين حين يخلق الشّبكة الرّوحيّة التي تربط نفس المجتمع بالإيمان بالله، وهو يخلق بعمله هذا أيضا شبكة

العلاقات الاجتماعيّة التي تنتج لهذا المجتمع، أن يضطلع بمهمّة الأرضيّة، وأن يؤدّي نشاطه المشترك، وهو بذلك يربط أهداف السّماء بضرورات الأرض (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 79)

- الأخلاق ودورها الحضاري: انطلاقا من المعادلة الحضاريّة (انسان + تراب+ وقت= حضارة)، اعتبر ابن نبي أن المقوّمات المعنويّة المتمثلة في القيم الأخلاقيّة المؤسسة لهذه المعادلة منحة من السّماء لأهل الأرض، مؤكّدا أنّ نشاط الحضارة الغربيّة والإسلاميّة انطلق من هذه الرّوح قائلا:" إنّ أكبر مصادر أخطائنا في تقدير المدنيّة الغربيّة أنّنا ننظر إلى منتجاتها وكأنّها نتيجة علوم وفنون وصناعات، وننسى أنّ هذه العلوم والفنون والصّناعات ماكان لها أن توجد لولا وجود صلات اجتماعيّة خاصّة، لاتتصوّر هذه الصّناعات، والفنون بدونها، فهي الأساس الخُلُقي، الّذي قام عليه صرح المدنيّة الغربيّة، في علومه وفنونه، حيث لو ألغينا ذلك الأساس لسرى الإلغاء في جميع ما نشاهده اليوم، من علوم وفنون، فلو أخذنا جهاز الرّاديو مثلا لرأينا فيه مجهودات علميّة، وفنّية مختلفة في بناء هذا الجهاز، دون أن يخطر ببالنا أثر من آثار العلاقات الاجتماعيّة الخاصّة، التي وحّدت جهودا مختلفة "لهرتز" الألماني، و"بوبوف" الرّوسي، و"براندلي"الفرنسي، و"ماركوني"، الإطالي و"فلمين" الأمريكي، فكان الرّاديو نتيجة هذه الجهود جميعا، وهكذا سوف نصل في النّهاية – إذا ما تتبعنا كلّ مظهر من مظاهر الحضارة الغربيّة، إلى الرّوابط الدّينية الأولى التي بعثت الحضارة، وهذه حقيقة كلّ عصر، وكلّ حضارة " (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، الصفحات 89-90).

ويعتبر تلك الرّوح هي السّبب الرّئيسي في صناعة المجتمع الإسلامي قائلا: "إنّ روح الإسلام هي الّتي خُلقت من عناصر متفرّقة كالأنصار، والمهاجرين أوّل مجتمع إسلامي، حتّى كان الرّجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه، بعد أن يطلّقه له، لكي يبني بذلك أسرة" (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 90).

فالأخلاق هي الرّوح التي تربط جهود أفراد المجتمع في إطار موحّد: "كقوّة للتّماسك ضروريّة للأفراد في المجتمع، يريد تكوين وحدة تاريخيّة، هذه القوّة مرتبطة في أصلها بغريزة الحياة في جماعة عند الفرد، ومهمّتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 63] ، فقوّة التّماسك هذه جديرة بأن تؤلّف لنا حضارتنا المنشودة، وفي يدها –ضمانا لذلك- تجربة عمرها ألف عام، وحضارة ولدت على أرض قاحلة، وسط البدو، رجال الفطرة والصّحراء. (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 90)، فكلّ هذه القوانين، هي في نهاية الأمر للإقلال من الآثار المفرِقة الفرديّة، والإكثار من الآثار الموثّقة الجاذبة في شبكة العلاقات، الّتي تتيح لجميع أوجه النّشاط الاجتماعي، وتشملها جميعا، ابتداءً من أكثرها بساطة، في المجتمعات، التي أشدّها تعقيدا، في المجتمعات التي ارتقت سلّم الحضارة... فالإكثار من الآثار الجاذبيّة في العلاقات المتحقّقة بين أفراد مجتمع معيّن، إن لم يكن يقصد بها تعليم هؤلاء الأفراد كيف يتحضرّون (مالك ا.، ميلاد مجتمع،

شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، الصفحات 95-96).

- يرى ابن نبيّ أنّ الأخلاق هي أحد أهم الأسباب الّتي يتحدد من خلال فاعليتها استمرار الحضارة أو زوالها؛ فاستمرار الحضارة أو اندثارها مرهون بهذا العنصر قائلا : "فدورة الحضارة إذن تتمّ على هذا المنوال، إذ تبدأ حينما تدخل التّاريخ فكرة دينيّة معيّنة، أو عندما يدخل التّاريخ مبدأً أخلاقيا معيّنا على حدّ قول (كسير لنج)، كما أنّها تنتهي حينما تفقد الروح نهائيا الهيمنة التي كانت لها الغرائز المكتوبة أو المكبوحة الجماح (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 70).

وقد اهتم ابن نبي بدراسة سبب ضعف تأثير الأخلاق وفاعليتها في المجتمعات التّارخيّة، من خلال دراسة العامل الزّمني، باعتباره عنصرا مهمّا يتداخّل مع المتغيّرات التي تحدث في المجتمعات أثناء دورة الحضارة فيرى: أنّ "التّطبيق يختلف فيها تبعاً لتعاقب ظروف التّاريخ الإنساني، والهدف الأساسي لهذه التّعاليم هو الدّفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعيّة، التي يقوم عليها كلّ مجتمع، كما يؤدّي نشاطه المشترك في التّاريخ، وليست القوانين الحديثة سوى تطبيقا لهذه التّعاليم في حالات خاصّة، ناشئة عن الحياة، وعن التّجربة الخاصّة لمجتمع يؤدّي نشاطه المشترك، في مستوى قوميّ وعالميّ معًا" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 95).

إن الأخلاق هي من تضعنا على طريق الحضارة، وهي الّتي تعلّمنا فنّ الحياة مع أقراننا، مبرزا ضرورة الانتباه للتطوّر التاريخي في تغيّر القيم الأخلاقيّة، فالزّمن يؤثّر بشكل مستمرّ على البناء الأخلاقي الاجتماعي بالتّناقص، كلّما حاد المجتمع عن ترسيخ هذه القيم الخلقيّة وتناساها فيقول: "كلّما واصل التّاريخ سيره، واصل التّطوّر عمله في نفسيّة الفرد، وفي البناء الأخلاقي للمجتمع الذي يكفّ عن تعديل سلوك الأفراد، وبقدر ما تتحرّر هذه النّزعة من قيودها في المجتمع، ينكمش التّحرّر الأخلاقي في أفعال الفرد شيئا فشيئا" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 111) لذا يركّز ابن نبي على عنصرين هامّين مرتبطين بشكل مباشر بعنصر الأخلاق وهما:

1- القدوة ودورها في صناعة الأخلاق: يؤكّد ابن نبي بأنّنا في حاجة ماسّة وضروريّة لخلق نموذج يقتدى به، بعدّه الموجّه الرّئيسي لإرادة الله، المتمثّلة في إرساء دعائم الأخلاق في المجتمع فيقول: "أنّ المثل الأعلى هو أقوى عامل في تقرير خلق الإنسان وفي تعيين شكله، لأنّه هو وحده الذي يستطيع تنبيه الإرادة وتنظيم جميع الغرائز، فيرى بأنّ الغرائز لا تُترك بدون تنظيم، وعليه فإنّ من أهمّ المشكلات التي تصادف الفرد في إطاره الخاص لتنظيم الطّاقة الحيويّة ضمن الإطار الاجتماعي لتوجيه هذه الطّاقة الحيويّة، فقد أثبتت التّجربة أنّ اختيار الفرد لمثله الأعلى أهدى طريق إلى السعادة" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، الصفحات 73-74) لذلك أرسل الله رسله لتوجيه النّاس للمثل الأعلى الصّحيح، الذي يبحثون عنه في حركتهم العمليّة من خلال سلوكيّاتهم، واتّضح هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: **21**]

2- الأخلاق ودورها في صناعة شبكة العلاقات الاجتماعيّة: ركّز ابن نبي في تحليلاته الفكريّة على

أهمّية دور الأخلاق في صناعة النّسيج الاجتماعي قائلا: "جميع القوانين الّتي أملتها السّماء، أو وضعتها محاولات البشر، هي في حقيقة الأمر إجراءات دفاعيّة لحماية شبكة العلاقات الاجتماعيّة، وبدونها لاتستطيع الحياة الإنسانيّة أن تستمر لا أخلاقيّا ولا ماديا" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 94).

إن الأخلاق في قوّة فاعليّتها دليل مباشر عن تماسك العلاقات الاجتماعيّة، وغيابها ينبئ بخطر يهدّد المجتمعات الإنسانيّة، ودليل مباشر عن تفسّخ المجتمع وتحلّله، ويعدّ بن نبي القوانين الّتي احدثتها الحضارة الغربيّة ماهي إلّا تطبيق لهذه التّعاليم: "بل إنّ جميع التّعاليم المقدّسة الّتي دانت لها الإنسانيّة العذراء وجميع المبادئ الأخلاقيّة التي اتّخذتها الإنسانيّة المتحضّرة، ليست إلّا تطبيقا متنوّعا لتعاليم أخلاقيّة مشتركة، يختلف التّطبيق فيها تبعا لتعاقب ظروف التّاريخ الإنساني، والهدف الأساسي لهذه التّعاليم هو الدّفاع عن شبكة العلاقات الاجتماعيّة التي يقوم عليها، إنّها تعني بلا شكّ أشياءً كثيرة، ولكنّ أهمّ هذه الأشياء هو الإقلال من الآثار الطرديّة في ميول الأفراد الّذين يكوّنون المجتمع وكلمات مثل: تصدّق ...أحبب أخاك كما تحب نفسك احترم الوعد الذي تبذله، ماذا تقصد بها؟ أشياء كثيرة ولاشكّ، ولكنّ أهمّها جميعا هو الإكثار من الآثار الجذبيّة في الميول الجماعيّة التي توحّد الأفراد في مجتمع" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 96) فالأخلاق أو الفلسفة الأخلاقيّة هي أوّل المقومّات التي تساعدنا في الخطّة التّربويّة لصناعة مجتمع متحضر.

- المعادلة الحضاريّة الأخلاقيّة: ناقش ابن نبيّ مقومات الحضارة وأسباب زوالها، حيث نظرَ في مؤلّفاته للمعادلة الأخلاقية:(المبدأ الأخلاقي+ الذوق الجمالي= اتجاه حضارة)، معتبرا(المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي) عنصرين مهمين يبرزان مجالات النّشاط الحضاري لأي حضارة إنسانيّة مرّت عبر التّاريخ.

ومن خلال هذين العنصرين ناقش ابن نبي الاختلاف الفكري والعملي بين الحضارة الغربيّة والإسلاميّة، فالحضارة الإسلاميّة والغربيّة اختلفتا في ترتيب طرفي هذه المعادلة، قائلا: "يمكننا القول بأنّ هناك بصورة عامّة، نموذجين من المجتمع نموذجا يقوم فيه النّشاط أساسا، على الدّوافع الجماليّة ونموذجا يقوم فيه النّشاط على الدّوافع الأخلاقيّة أوّلا" (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 101) موضحا صورا مختلفة لهذا النّشاط قائلا: "إن المجتمع الغربي قد مارس من بين فنونه، فنّ التّصوير وتصوير المرأة العارية على الخصوص، بسبب الدّافع الجمالي، بينما لا نرى الفنّ الإسلامي قد خلف آثارًا في التّصوير كذلك الّذي نشاهده في متاحف الحضارة الغربيّة، لأنّ الرّادع الأخلاقي في المجتمع الإسلامي لا يطلق العنان للفنّان أن يعبّر عن كلّ ألوان الجمال، وعلى الخصوص المرأة العارية فتطوّر الملابس في المجتمع الغربي قد انطلق من نقطة إبراز جمال المرأة في الشّارع بكلّ ما يمكن أن يوضّح مظهره، بينما نجد أن تطوّر الملابس في المجتمع الإسلامي قد اتّخذ اتّجاها مخالفا تمام الاختلاف إذ هو يهدف أساسا بوسائل ملائمة إليه أن يخفي جمال المرأة في الشّارع، وهذا لا يعني أنّ الثّقافة الإسلاميّة تفقد عنصر الجمال، وإنما تضعه في مكان آخر في سلّم القيم" (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 102).

إن العلاقة بين المبدأ الأخلاقي والذّوق الجمالي تحدّده ثقافة المجتمع، وتوجّهاته السّياسيّة، وعلى أساسها تتحدّد طبيعة كل مجتمع، وقد اعتبر ابن نبيّ ظاهرة الاستعمار صورة مجسّدة لثقافة السّيطرة من خلال هذه ترتيب طرفي هذه المعادلة قائلا: " إنّنا نعتبر الاستعمار كظاهرة ثقافيّة" يدلّ على أنّ الثّقافة الغربيّة حدّدت علاقة (المبدأ الأخلاقي- الذّوق الجمالي) بصفة معيّنة، ذلك بأن قدّمت العنصر الثّاني على الأوّل في ترتيب القيم، فأثر هذا التّرتيب على علاقة الإنسان الأوروبي بالإنسانيّة.... فكلّ ثقافة سيطرة هي في أساسها ثقافة تنمو فيها القيم الجماليّة على حساب القيم الأخلاقيّة، فالتّقديم والتّأخير ينتهي أيضا إلى تحديد مناهج سياسيّة مختلفة تمام الاختلاف، ....إن أي خلل يحدث في هذه العلاقات فإنه قد ينتهي في آخر المطاف إلى خلل في توازن الحضارة في كيانها" (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، الصفحات 103-105) .

- ناقش ابن نبيّ مفهوم الحضارة في أغلب مؤلفاته الفكرية مما سمح له بتحديد أهم المقومات المادية والمعنوية التي تساهم في قيامها أو وزوالها، ومن أهم العناصر التي تحدّث عنها ابن نبي وأعطاها حيّزا من المناقشة في تحليلاته، العنصرالأخلاقي باعتباره دافعا حضاريا، ومحركا مهما لنشاطات المجتمعات الإنسانية، فقد ركّز ابن نبي عند مناقشة لهذا العنصرعلى ما يلي:

1- ركز ابن نبي في دراسته لمصطلح الأخلاق على وظيفة الأخلاق الاجتماعية ولم يركز على الإطار الفلسفي له.

2- تحدث عن الرّوح الأخلاقيّة واعتبرها الدّافع الحقيقي الذي يحرّك الحضارة باتّجاه الاستمرار، والدّيمومة، وهي نفسها الّتي تكون سببا مباشرا في زوالها إذا ما ضعفت فاعليّتها.

3- اعتبر المبدأ الأخلاقي أحد عناصر المعادلة الحضارية التي صنعت منها الحضارة نشاطاتها، وحدّدت مسار حركتها التّاريخيّة، فبينت إن كانت وظيفتها خدمة الإنسانيّة أو خدمة مؤسّسيَ الحضارة دون غيرهم.

- ترى الباحثة أن ابن نبي ربط الأخلاق بشكل مباشر بالنشاط الحضاريّ، والرّوح الدّينيّة، فالمبدأ الأخلاقي إن غاب عن المجتمع فسينعكس بشكل مباشر على الذّوق الجمالي مما يؤدي إلى تراجع مستوى الحضارة وآخيرا إلى زوالها واندثارها، بينما إذا تعزز المبدأ الأخلاقي وانعكس بصورته الجماليّة على المجتمع، فإنّ مستوى الحضارة سيرتفع بالإنسانيّة إلى درجات عالية من النظام والتناغم، وآخيرآ إلى الكمال والاستمرار وهو ما جاءت به رسالة الإسلام، ووضحه الحديث النّبوي الشريف، "إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

3. مشكلة الأخلاق في المجال الاقتصادي والاجتماعي، والعلمي، والسّياسي الدّولي:

يرى ابن نبيّ أنّ الحضارة الغربيّة الّتي جعلت من العقل والعلم إلهين جديدين، وقطعت أيّ صلة بالأخلاق أو الدّين، وعطّلت الجوانب الرّوحية والدّينية في المجتمعات الإنسانيّة المعاصرة، وقد غيّرت بذلك وجه الحياة في العالم، وفي هذا السّياق يعتقد مالك بن نبيّ أنّ الحضارة الأوروبيّة التي انتجت العلم والتّقنية، واعتمدت على العقل وحده، فهي حضارة قدّ تنهي حياة البشريّة لأنّها أفرزت جملة من المشكلات الأخلاقيّة التي يتخبّط فيها المجتمع الأوروبي بصفة خاصّة، والمجتمعات الإنسانيّة، باعتبارنا

نعيش في عالم عبارة عن قرية واحدة، فيقول في هذا الشّأن:" إنّ العالم يواجه مشكلات استعصى حلّها على مدار نصف قرن، على حربين عالميتين، فكان الإخفاق في كلا الطّريقتين مدوّيا، وكان الطّابع في هذه الفترة هو أنّها سياسة غير مثمرة، لأنّها مجافية للأخلاق تقود حتما إلى حرب - مجافية للأخلاق- فهي تؤوّل مرّة أخرى إلى سياسة ترى أنّ الخطأ أقبح من الجريمة على ما ذهب إليه مفسرها تاليران، فالعالم قد خضع لسيطرة أوروبا الأخلاقيّة، والسّياسيّة منذ قرنين من الزّمان، والمشكلات الّتي لم تستطع السّياسة والحروب خلال نصف قرن أن تضع لها حلّا مؤثّرا، إنّما تنتج عن هذه السّيطرة الأوروبيّة العليا على الشّؤون الإنسانيّة، فموطن الأزمة موجود في الضّمير الأوروبي نفسه، في علاقته بالمأساة الإنسانيّة، (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، الصفحات 21-22) هذه الأزمة التي حدثت في الضّمير الأوروبي، وانعكست بشكل مباشر على السّياسة الغربيّة الخارجيّة، وبرزت بشكل واضح وجلّي في المجالات التّالية:

1.3. مشكلة الأخلاق في المجال الاقتصادي :

يؤكّد ابن نبي أنّ العالم الإنساني في القرن العشرين، وجد نفسه أمام صراع اقتصادي أدى إلى انقسامه بحسب هذا المجال إلى محورين، محور يمتلك جميع المقوّمات الاقتصاديّة سواء كانت موارد طبيعيّة، أو بشريّة وهو بذلك المتحكّم والمسيطر على الاقتصاد، وهو ما يسمّيه ابن نبيّ - بعالم الشمال- ويحدّده بالمحدّد الجغرافي، والاقتصادي محور (موسكو-واشنطن) ومحور آخر مواز لمحور عالم الشّمال، لا يمتلك أيّ وسائل تكنولوجيّة أو تقنيّة، أو بشريّة لها مهارات في التّعامل مع التّكنولوجيا الحديثة، وإن وجدت هذه الموارد الماديّة والبشريّة فهي موارد معطّلة غير مؤهّلة للتّعامل مع ما أنتجته الحضارة الغربيّة من مخترعات، وهو ما يعرفه ابن نبي -بعالم الجنوب- ويحدّده بالمحدّد الجغرافي والاقتصادي محور (جاكرتا – طنجة) ولضمان استمرار الحالة الاقتصاديّة الرّاهنة، سعى العالم المتقدّم للسيطرة على مقدرات محور الجنوب، فاستخدم كافّة المخطّطات والاستراتيجيّات اللاأخلاقية، ليحافظ من خلالها على دوره السّيادي والعنصري، من خلال المخطّطات الّتي وظّفها، والمتمثّلة في:

- تدمير مفهوم العمل وقيمته الأخلاقيّة على المستوى النّفسي: إنّ الفكر الاقتصاديّ في الحضارة الغربيّة قام على السياسة استغلاليّة احتكاريّة، حيث قرر أن لا يسمح للبلدان المستعمرة بأن يكون لديها اقتصاداً ناجحاً، فقام بهدم قيمة العمل في نفسيّة أفراد المستعمرة، ممّا رسخ مفهوماً لا أخلاقياً عن العمل وقيمته في أذهانهم فيقول في هذا الشّأن: "إنّ الاستعمار لم يحاول تحقيق هذا التّوفيق في استثماره للبلدان المستعمرة، فقد كان العمل استرقاقا وعبوديةً يستهدف إثراء المستعمر أكثر من أن يهدف إلى إعاشة المستعمر، وبذلك انحطّت فكرة العمل على يده أخلاقياً واجتماعياً" فليس العمل وسيلة لكسب العيش بل هو طريقة لإرضاء مطالب السّلطة التي توزّع الخبز علما بأنّ الخبز الذي يحصلون عليه بهذه الكيفيّة ليس حقّا، وإنّما هو منحة، فقد نمّى الاستعمار في نفسه خوف الجوع الذي يظهر في جميع طبقات المجتمع المستعمر، فخلق منه الرجل الجائع دائماً، وخلق منه الرجل الذي يخاف دائماً من الجوع" (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 20) وهي ثقافة تظهر في المجتمعات التي عاشت تحت نير الاستعمار، وسطوته فبمجرّد ظهور الأزمات الاقتصاديّة، أو انتشار

الإشاعات حول موضوع ما، فتجد تلك المجتمعات التي سكنها هذا الشّعور في اللّاوعي الجمعي تتسارع لتخزين أصناف الطّعام حرصاً منها على ألّا تمسّها الحاجة الغذائيّة التي حرّمها الاستعمار منها حقبة من الزّمن، والملاحظ أن هذه السّلوكيّات لا تظهر وإن ظهرت، فهي على نطاق ضيّق في المجتمعات المتحضّرة أثناء حدوث بعض الأزمات .

- التّركيز على مبدأ المنفعة والرّبح وثقافة الإنتاج والاستهلاك: يرى ابن نبيّ أنّ النّظام الاقتصادي تحركه القوى الأخلاقيّة التي تخلع عليه تفسيراً إنسانياً وغاية تاريخيّةً، فهو في بدايته يحمل طابع الاختيار بين (المنفعة) و(الحاجة)، وفكرة التّوزيع فيه، بمعنى أنّ الوظيفة الاجتماعيّة الجوهريّة تكتسب تحديدها من هذا الاختيار الأوّلي، مؤكّدا أنّ المذهب التّجاري الاحتكاري القائم على أساس المنفعة، أي الذي يقوم توازنه على قانون العرض والطّلب، يتنافس مع المذهب القائم على فكرة الحاجة، ونظريّة الاقتصاد القائمة على أساس الحاجة هي الّتي تقرّر في صورة فرض الحقّ غير المشروط لكلّ فرد في أن يحصل على خبزه اليومي، فتعدّ العمل في النّهاية واجباً يوميا عليه (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، الصفحات 23-24).

إن المبدأ الاقتصادي (دعه يعمل - دعه يمر) أدّى إلى خلق اضطراب اجتماعي، أدّى بالمجتمع إلى انحرافات ثقافيّة نشأت فيها ردود أفعال- ضروريّة- أمام إفراط في الإنتاج، وتفريط في التّوزيع، هذا من جهة الإنتاج أمّا من جهة رأس المال فقد أدّى إلى ما يعرف بالإباحيّة الرّأسماليّة التي تقتضي دفع عجلة الاقتصاد الذي يعتمد أساساً على الرّبا في عمليتي التّجميع والتّوزيع (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 43)، هذا المشكل نتج عنه مشكلة أخلاقيّة، فالبلدان المتخلّفة ازدادت تخلّفا، والدّول المتقدّمة ازدادت تقدّما في الفترة نفسها، (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 54) هذه التّغيرات الّتي نشاهد نتائجها في عالم الاقتصاد، أحيانا هي في جوهرها تغيّرات حضاريّة تعتري القيم والأذواق والأخلاق في منعطف التّاريخ، (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 59) فالقاعدة (دعه يعمل- دعمه يمر) أصبحت الأساس الذي يقوم عليه سلوك الأفراد باسم الحريّة، أدّت إلى تطورات خطيرة وأحداث كبيرة غيّرت وجه القرن العشرين. (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 85).

- توظيف مبدأ القوّة، وتعزيز مفهوم العنصريّة: يركّز ابن نبي في طرحه لمشكلة الأخلاق على المبادئ التي استخدمت لتوظيفها في خدمة مؤسّسي الحضارة الغربيّة فيقول: "إنّ التّقسيم الاقتصادي الذي فرضه المذهب الاقتصادي الاحتكاري في المحور الأوّل (موسكو- واشنطن)، إنّما يعتمد في مشروعه أساسا على القوّة، بينما يبقى المحور الثّاني (طنجة - جاكرتا) مكتفيا بتحريك طاقته على أساس البقاء، فقد استطاعت أوروبا خلال قرنين من الزّمان أن تتحكّم في موارد العالم كلّه، وقد وضعت هذه الموارد تحت تصرّف النّظام الأوروبي فحسب، وأصبحت محتكرة بذلك الكرة الأرضيّة باعتبارها سيّدة العالم، من أجل فائدتها وحدها في تحقيق الحريّة والسّلام والعمل، فلقد أحدثت في العالم المتحضّر التّمييز بين الرّجل الأبيض والرّجل الملوّن، هذه النّظرة غير المباشرة الّتي لا تتّصل بقيم الأخلاق، أو بقيم السّياسة وإنّما هي شبيهة بما

يسمّى بجمعية الرّفق بالحيوان، ويعطي من خلال هذا المثال صورة قبيحة عن هذا التّمييز في التّعامل بين محور الشّمال ومحور الجنوب، من خلال مشروع مارشال الذي اعتمدت عليه السّياسة الأمريكيّة بعد الحرب العالميّة الثّانية، حيث اعتمدت بحسب وصفه أخلاقها القائمة على مبدأ (المن، السلوى) لإسعافهم مؤقتا (**unrwa**) معتمدين على الحرية، والعمل، والخبز، أو الوسائل الضّرورية، لكن اختلفت سياسة المشروع بين الشّعوب الغربيّة والشّعوب المتخلّفة، فقد أعطت مشروعا آخر أطلقت عليه اسم "النّقطة الرّابعة"، أي أنّها لم تعتمد لهم لا على الخبز، ولا العمل، ولا الحريّة (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، الصفحات 22-23)، وقد برزت هذه الاستراتيجيّة بشكل واضح في المجال الزّراعي، فيقول على شريعتي في هذا الشّأن: "إنّ الاستعمار اعتمد على فكرة أحاديّة الزّراعة، أي الاقتصار على محصول واحد من معالم الاستعمار، لأنّ الاستعمار يعتبر نفسه سيّد الدّنيا، ويعتبر العالم مزرعة له، فهو يرى على سبيل المثال أنّ كوبا تنتج قصب السّكر جيداً، فيأمر بأن تزرع كل الأراضي بقصب السكر، وعندما لا يجد الشعب فيها خبزاً يأكله عليه أن يستورد القمح من أمريكا" (شريعاتي، العودة إلى الذات، 1986م، صفحة 37) لقد ظلّت هذه المستعمرات البقرة الحلوب التي تمدّ أنصار الحضارة الغربيّة بكل احتياجاتها، وقد وصف ابن نبي هذا المشهد الاستغلالي في عبارات ألقيت أثناء عرض تقرير الجلسة الختاميّة للدورة الثلاثين لمؤتمر الغرفة التجاريّة لحوض البحر الأبيض المتوسط، وإفريقيا الفرنسيّة، إبّان فترة الاستعمار في مؤتمر انعقد في مرسيليا (1955/10/02)، الّذي قرّر فيه "أنّ فرنسا تعيش من خيرات إفريقيّة وتعمل لها يومين في الأسبوع" (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، صفحة 47) فأي تقسيم جائر هذا إنها العنصريّة في أبشع صورها.

– الصّراعات السّياسية بين الأنظمة الاقتصاديّة الغربيّة وأثرها في زيادة الفقر في العالم: على الرّغم من أنّ الاشتراكيّة سعت لتجاوز انحرافات الرّأسمالية، فإنّها تشكو بدورها من أعطاب مزعجة، فيرى ابن نبي أنّ الأيديولوجية الماركسية بإلغائها أو تحديدها للملكيّة قامت بمعاداة الفطرة الإنسانيّة، وبدل أن يهتم ماركس بالأخلاق كمدخل لمغالبة العجز الاجتماعي الذي تسبّبت فيه الرّأسماليّة، ركّز اهتمامه على العامل الاقتصادي، وظلّ منغلقا في سجن الصّراع الطّبقي، (أحمد إدعلي، 2021)، فالنّظام الرّأسمالي بحسب رأي عبد الوهّاب الميسري هو النّظام الماركسي بصورة جديدة قائلا في هذا الشّأن: "يد أدم سميث الخفيّة هي حالة النّظم الاشتراكيّة من خلال تدخّل الدّولة في كلّ شيء يتعلّق بالتّخطيط، والضّبط ولجان الحزب المسلّحة بالرّؤية العلميّة الرّشيدة التي تخطّط وتقوّم بتهذيب، وإصلاح من يقف في طريقها، ويرى أنّ الفرق الوحيد بين الرّأسمالية والاشتراكيّة أنّ اليد الخفيّة تستخدم الإعلانات التلفزيونيّة الخفيّة لإقناع الجماهير، أمّا لجان الحزب تستخدم "الشّرطة السّريّة ""الخفيّة العلنيّة" لتطويع الجماهير، ويرى أنّ هناك فرق جوهري بين الإعلانات التّلفزيّة ذات "الأثر الجواني"، و"الشّرطة السّريّة" ذات "الأثر البراني" لكنّ الهدف من هذه الآليات المختلفة واحد هو سيادة القانون العام العلمي الطّبيعي الآلي على الإنسان، (المسيري ع.، 1998م، صفحة 44) كما يقول علي شريعاتي: "بأنّه لا فرق في المشكلة الأخلاقيّة في عالم الاقتصاد بين الاشتراكيّة والرّأسمالية، وإنّما الفرق في النّظام الرّأسمالي حيث كان الرّأسماليّون الأوروبيّون

يخصّون أنفسهم بأغلب الغنيمة، ثمّ يأتي الاشتراكيّون يخصّون العمّال أيّ المجتمع بأغلبه، ومن ثمّ فالحرب بين الاشتراكيّة والرّأسماليّة تدور حول اختلاف الاستيلاء بين الفرد والمجتمع، ويرى أنّ الآسيويين والأفارقة يظلّون منهوبين كالعادة، فليس سخاء الرّأسماليّة هو الذي يمنح البروليتاريا الرّفاهية والنّعمة، إنّه الاستغلال هو الّذي جعل البرجوازي الغربي رأسماليّا والبرولتياري الغربي برجوازيا، ويقول بأنّهم جرّدونا تماما حتى صنعوا بروليتاريّا موسّعاً عليه، بينما صار العامل والفلاح الشّرقي في طبقة ما دون البورليتاريا، ومحا التّاجر الشرقي والمالك الصّغير الشّرقي من الوجود، أمّا الخان الشّرقي فلم يبق له من كل ما كان يملك من ينابيع أملاك ومخازن وقطعان غنم وبقر وخيل إلا "حساب الدكان" وقرض البنك حتى صار البروليتاري الغربي برجوازيا صغيرا والبرجوازي، الصغير رأسماليا، والرأسمالي ممولا كبيرا ومؤسسا لاتحادات الشراكات، والخلاصة أننا سلبنا كل ما نملك وبقينا جياعاً، حتى شبع العامل وصاحب العمل عندكم وامتلآ على أساس نهب الشرق كل ما صنعوه. (شريعاتي، العودة إلى الذات، 1986م، الصفحات 167-168)

- ظاهرة الاستعمار: اعتبر ابن نبي أنّ الاستعمار من أهمّ العوامل السّلبية التي تحجر على المجتمعات الإنسانيّة ولا تسمح لها بالنهوض، واصفا ظاهرة الاستعمار بأنّها نكسة في تاريخ الإنسانيّة فيقول: "الاستعمار يعتبر من الوجهة التّاريخية نكسة في التّاريخ الإنساني، لأنّنا إذا بحثنا عنه فسنجد أصوله تعود إلى روما، حيث وضعت المدينة الرّومانية طابعها الاستعماري في سجلّ التّاريخ" (مالك ا.، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 147)، ويتحدّث عن قوّة الاستعمار في كبح أيّ حركة تنمويّة قائلا :"الحقّ أنّ سهم الاستعمار ماحق، إذ هو يسحق بصورة منهجيّة كلّ فكرة وكل جهد عضلي أو محاولة للبعث الأخلاقي، أو الاقتصادي أعني كل ما من شأنه أن يتيح لحياة أبناء المستعمرات مخرجا أيّا كان" (مالك ا.، وجهة العالم الإسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، 2002م، صفحة 92) "معتبرا أنّ الاستعمار – وحكّام النّظام العالمي اليوم- استخدموا كلّ الوسائل الماديّة والمعنويّة في سبيل تفكيك المجتمعات الإنسانيّة ليسهّل السّيطرة عليها، واستغلال مواردها، وذلك عن طريق هدم كل المبادئ الأخلاقيّة من خلال ما سمّاها - بالقوارض المجازة- وهي وسائل ربيت بعناية في البؤرة الثّقافية لمهاجمة شبكة العلاقات الاجتماعيّة الثّقافيّة، والأخلاقيّة في بلد معيّن، والذين يدّعون أنّهم يمثّلون ثقافته، والذين يدفعون إلى المسرح بيد خفيّة، وقد يكون مسرحا دوليّا، فحيثما وجدت قيم صالحة للقرض يمكن أن تتحوّل إلى اللّاقيم، يؤكّد أنّ المقصود بالتّعاليم الأخلاقيّة التي يستخف بها أحيانا- أولئك الذين يدّعون أنّهم يسعون إلى تحضيرنا- بإطلاق غرائزنا من عقولها، بأنّها هي الّتي تضعنا على طريق الحضارة، وهي من تعلّمنا فنّ الحياة مع أقراننا" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 96)، وقد اعتبر شريعتي أنّ أعظم الأحداث التي شهدها القرن التّاسع عشر في العالم هي استعمار آسيا وإفريقيا، وللأسف يقول أنّنا بقينا غافلين عن هذا الموضوع لأنّنا نأخذ معارفنا للعالم بل ولأنفسنا من الأوروبي" (شريعاتي، العودة إلى الذات، 1986م، صفحة 37) "فالاستعمار الدّولي أباد شعوب الأمريكيتين الهنود الحمر وسكّان أمريكا اللّاتينية، وسخر الشّعوب الإفريقيّة كعبيد لخدمة الرّجل الأبيض الغربي بإحضار العبيد من الدول الأفريقية المستعمرة، وأسس لظهور الإمبرياليّة العالميّة التي فيما

بعد حوّلته إلى مادّة استعماليّة، كما شهدت أوروبا حروب عالميّة غربيّة وأخرى صغرى في آسيا وأفريقيا، كما ظهرت العولمة التي حوّلت العالم إلى وحدة متجانسة ليس لها خصوصيّة، وتشكيل النّظام العالمي الجديد، إضافة إلى مشكلات التّلوث البيئي، وانتشار الأمراض، والأوبئة مثل الأيدز" (واضح، 2016م، الصفحات 234-235)، وانتشار الفيروسات على اختلاف أصنافها في جميع أنحاء المعمورة مثل انفلونزا الطّيور وانتشار كوفيد 19 مؤخرا وما أحدثه في العالم من شلل في كافّة المجالات.

2.3. **مشكلة الأخلاق في المجال الاجتماعي** :

إنّ حضارة القرن العشرين أفقدت أو أتلفت قداسة الوجود في الضمائر، لأنها عدتها شيئا تافهاً لا حاجة لنا به، قد نجحت في إخضاع كل شيء لمقياس الكمّ، ولكنّ نجاحها الظّاهر يخفي في بواطنه الأزمة الّتي تمرّ بها اليوم حضارتها، فقد فقدت بحسب تصوّر ابن نبي كلّ مسوّغات وجودها لأنّها أفقدت الوجود قداسته، إذ بقدر ما تراكمت الأشياء وبقدر ما تراكمت الإمكانيّات الحضاريّة اضمحلّت القاعدة الأخلاقيّة الرّوحية المعنويّة التي تتحمل في كلّ مجتمع عبء الأثقال الاجتماعيّة والأثقال الماديّة، (مالك ا.، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، سلسلة مشكلات الحضارة، 1991م، صفحة 45) مؤكّداً أنّ الأزمة التي تعانيها الإنسانية المتحضّرة أخطر وأعمق بكثير من أزمتنا نحن دول- محور الجنوب طنجة جاكرتا- فأزمتنا لا تمسّ بجوهر كياننا الإنساني، فيبقى مع أزمتنا على الرّغم من كلّ شيء، أمّا أزمة الإنسان المتحضّر اليوم فهي أحيانا تفقده حتّى إنسانيّته، فيصبح إمّا وحشاً مفترساً ضاريا، ينتفض على كلّ ما يستطيع تحطيمه أو يصبح حيوانا تائها في المتاهات الّتي تفتح له بالمخدّرات، هذه هي الأزمة الخطيرة التي يعانيها الإنسان المتحضّر اليوم، (مالك ا.، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، سلسلة مشكلات الحضارة، 1991م، صفحة 47) لذلك حدثت الأزمة في الضّمير الإنساني ممّا انعكس بالضّرورة على المجال الاجتماعي فيقول: "إنّ التّصرفات التي تراها في أوروبا وأمريكا اليوم في بلد حقّق الضّمانات الاجتماعيّة، إلى أقصى حدّ مثل السّويد، تتميّز بشيء خطير وهو أنّه يتصدّر رأس القائمة في إحصائيّات الانتحار العالميّة فظاهرة الانتحار في العالم، شغل فيها المكان الأوّل البلدان الأكثر تقدّماً من حيث الضّمانات الاجتماعية، فإذ شبعت البطون تبقى الأرواح متعطّشة ومتطلّعة، وحين لا تجد وجهة تتطلّع إليها تفضّل الاستقالة من الحياة، ويبدو أنّ هناك صورا أخرى للاستقالة من الحياة، هي في الحقيقة أشنع من النّاحية الأخلاقيّة، ولا أقول من النّاحية الدّينية، فهي أشنع لأن كلّ صور خيبة أمل تتجلّى فيها، مع شيء من العجز من القيام بهذه المحاولة تتطلّب شيئا من الشّجاعة، ولأنّ الإنسان فقد مروءته إلى درجة الفشل، من التّخلّص من الحياة بالطّرق غير المشروعة، فإنّه يفرّ منها عن طريق الموبقات، وعن طريق التّدهور الأخلاقي والإدمان على المخدّرات، فيصبح المجتمع مهدّداً بالخراب، لأنّ قاعدته الاجتماعيّة أي شبابه ينهار. (مالك ا.، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، سلسلة مشكلات الحضارة، 1991م، الصفحات 22-23).

- القيم الجديدة للمجتمع الغربي: لقد تأسّست المجتمعات في الحضارة الغربيّة على قيم ومبادئ جديدة أهمّها:

- حرّرت المجتمعات العلمانية الأخلاق من هيمنة علماء الدّين، ولكنها في ذات الوقت أخضعتها لعلماء

النّفس والاجتماع والهندسة الاجتماعيّة والوراثيّة وشركات الإعلان التّلفزيونيّة، ومجلّات أخبار النّجوم، وفضائحهم وصناعة الإباحيّة.

- أصبحت الأخلاق مسألة اجتماعيّة نسبية، فهي لا تسمح بأيّ مطلقية أو ثبات ويجب أن تخضع دائما للتقييم والتفاوض المستمر، الأمر الذي يجعل التّمسّك بها أمراً صعبا بعض الشّيء.
- أصبحت مسؤوليّة الفرد تنحصر في طريقة الأداء فإن أدّى، واجبه على أكمل وجه فهو مواطن خير صالح جيّد، حتى لو كان هذا الواجب هو إبادة المعوّقين والمرضى والعجزة، والأقليّات وإن تقاعس في الأداء وانخفضت الكفاءة فهو الشرّ، وقد أعطى المسيري مثالا عن هذه الوحشيّة الإنسانيّة قائلا: "رأى العالم الألماني النّازي الذي أثبت بالمنطق الرّياضي الصّارخ وبالتّجربة إن قتل العجزة والمعوّقين وجرحى الحرب، واليهود والغجر سيوفر الكثير للاقتصاد الألماني - باعتبارهم يستهلكون ولا ينتجون- مئات الآلاف من أطنان المربى التي حسبت كميتها بدقة علمية بالغة (المسيري ع.، 1998م، الصفحات 53-54-59)إنّ الحضارة الغربية ومنتجاتها خلفت فوضى اجتماعيّة في دول محور الجنوب فانعكست في أشكال مختلفة كالاقتصاد والفكر، وأنتجت الاضطراب الأخلاقي فالتّأخّر في المجال الاجتماعي وفي الشّروط الرّاهنة لتطوّر العالم العام، يترجم باضطراب في المجال الأخلاقي، وهذا الاضطراب يترجم بدوره في سلوك الأفراد، فهو في المستويات المختلفة للسلم الاجتماعي يترجم إما بوهن في الرأي أو بالسخط والتّطرّف في وجهات النّظر (مالك ا.، كمنويلث إسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 35)، وهو ما يؤدّي إلى ما نسمّيه اليوم بمصطلح الاغتراب .

- اضطراب التّركيبة الاجتماعيّة (الأسرة): لقد برزت ظواهر غريبة في المجتمعات الحديثة واستفحلت هذه الظّواهر، وهي ظواهر تعادي في جوهرها الفطرة الإنسانيّة فانتشرت الأمراض النّفسيّة، والفزيولوجيّة المتمثّلة في إشكاليّة التّفضيل، أي ما يعرف بالميل الجنسي، (سكشوال بريفيرنس **sexual preference**) كبديل عن الطّبيعة الجنسيّة الثّابتة للإنسان، بمعنى أنّ الإنسان يختار الممارسات أو الهويّة الجنسيّة، الّتي يميل لها، فإذا كان المرء ذكراً فتمكّنه من أن يمارس الجنس مع ذكر مثله، فهو جنسه مثلي أوشاذّ جنسيّا هو (موسكشوال **homosexual** مثل فوكو الفيلسوف الفرنسي)، وإذا كان المرء أنثى فهي تمارسه مع أنثى مثلها فهي مساحقة (مثل لزيبان **lesbian** وهي من زعيمات حركة التّمركز حول الأنثى) ...إلخ من أنواع الشّذوذ الجنسي وأسمائها المنافية للفطرة الإنسانيّة، والطّبيعة التّكوينية والكونيّة، فقد اختلفت أشكال الأسرة تماما، ففي الماضي كانت الأسرة الممتدّة التي تضمّ ثلاثة أجيال، ثم انكمشت إلى الأسرة النّوويّة التي تضمّ رجلاً وزوجته وطفليهما، فأصبحت الأسرة الأساسيّة إذ توجد أنواع أخرى (أب مع أطفاله- أم بمفردها مع أطفالها- أب وعشيقته مع أطفاله- أم وصديقتها مع أطفالها أو أطفالهما) وأصبح تركيب الأسرة على النّحو التّالي: أم وأب وصديقة وأطفالهم أي سقطت الثّنائيّة المرجعيّة، فللإنسان مجموعة من العلاقات الماديّة المتغيّرة، التي يمكن تعريفها إجرائيّا وحسب. (البلوشي، 2007م، الصفحات 141-142)، ويرى المسيري أنّ الحضارة الغربيّة - حضارة العقل المادّي- قد أحدثت ثورة علميّة وتكنولوجيّة سيطرت من خلالها على العالم، مستبعدة بذلك العناصر الأخلاقيّة والإنسانيّة، وهذا الاستعباد أدّى إلى تضيق رقعة القيم الأخلاقيّة والجماليّة، ممّا سمح باتّساع رقعة نطاق الحريّات الفرديّة، وتجاوز القيم المطلقة النهائيّة، ونزع

القداسة عن الإنسان، والقضاء على الثّوابت، ممّا أدّى إلى تزايد معدّلات الإباحيّة والعنف وغياب المعياريّة، واختفاء أيّ إنسانيّة مشتركة، وسقوط مفهوم الإنسانيّة نفسه، فالإنسان أصبح معيار الأشياء جميعا، ممّا خلق فوضى أخلاقيّة في المجتمع. (واضح، 2016م، الصفحات 234-235).

- إنّ ما يحدث في المجتمعات المعاصرة اليوم يعتبره ابن نبي إخلالا بالقانون الخلقي فيقول: "كّلما حدث إخلال بالقانون الخُلُقِي في مجتمع معيّن، حدث تمزّق في شبكة العلاقات التي تتيح له أن يصنع تاريخه" ومن يحدثون هذا الخلل بالقانون الخُلُقي ما هم إلّا أُنَاس يعانون من أمراض نفسيّة فيقول: "إنّ محدثي هذا الإخلال، أولئك الّذين يدّعون مثلا إلى حريّة الأخلاق من أجل التّقدّم، ليسوا في أعماق نفوسهم سوى أطفال استثَارتهم حَواسُّهم، وهم لا يرتابون لحظة فيما يجرّونه على المجتمع من أخطار هائلة، فهم يلعبون بحواسهم كما يلعب الأطفال بأعواد الكبريت، دون أن يشكّوا في أنهم يتركون حيث يلعبون بوادر حريق يلتهم المدينة بأسرها" (مالك ا.، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، 1986م، صفحة 53).

3.3. مشكلة الأخلاق في المجال العلماني :

ينطلق ابن نبي من مقولة "العلم بغير ضمير ليس إلّا خراب للرّوح" الخراب الروحي الذي أشار له " رابلز الّذي بدأ يعلن أثره في الحياة الأخلاقيّة في الإطارين الوطني والدّولي، فحسب رؤية ابن نبي فإن العالم قد وصل إلى الانفصال بين الضّمير، والعلم، فيقول: "يبلغ الانفصال غايته في نهاية القرن الماضي عندما زعم العلم بعد اكتشافاته المبهرة في ميدان البخار، ثم ميدان الكهرباء، إنّه يستطيع وحده الاضطلاع على سائر المسؤوليّات في العالم، وعندما اعتقدت بكلّ بساطة البلاد المتحضرة بأنها تستطيع أن تؤمنه على مصيرها، ورّطت بفضل تفوقها الفكري الإنسانيّة كلّها، في هذا الاعتقاد السّاذج منذ تلك اللّحظة، أصبح العلم يسير على طريق، والأخلاق على طريق آخر، فالأوّل زادت كلّ خطوة في كبريائه وشموخه، والثّاني زادت في انحناء رأسه، وأحيانا بفعل الكلمة الخارجيّة التي يطلقها الطّرف الأوّل، حيث كتب أحد المعاصرين في العالم الثّالث ولعله يخفي ألّا يظهر بالمظهر العلماني البعيد عن الأخلاق قائلا: "فعندما نشيد بالأخلاق فكأنّما نشيد بالأخلاقيّة والفقرانيّة" هذه الكلمات تدل على الانفصال أو الطّلاق بين العلم والضمير، فالعلم يزعم أنه يستطيع أن يحتل الجامعات، والمختبرات والمصانع، ويترك للأخلاق مجال الرّواسب التي صنعها هو، والتي تكدّست حول المدن الصّناعيّة، أو في تلك المدن من صفائح القصدير يسودها الفقر المدقع، وهي تحيط بالمدن الكبيرة في العالم الثّالث، فالعلم حسب ابن نبيّ يمثله الرّجل الذي يستيقظ الثّامنة صباحا ليذهب إلى عمله في سيّارته، وفي يده أو تحت إبطه محفظته الفخمة، ويترك للأخلاق أن يمثّلها الرّجل الذي يستيقظ في السّادسة صباحا، ويذهب إلى عمله سيراً على الأقدام أو على درّاجته، وغذاؤه في كيس من الورق، ويقول ابن نبي: "ممّا أدى إلى تجزئة الإنسانيّة إلى كائن معنوي وكائن موضوعي، ممّا ينعكس على العلاقات الاقتصاديّة بين الدّول المصنّعة والدّول النّامية فالعلم، إذا تجرّد من الأخلاق فإنّه يجرّ حتما إلى وضع اقتصادي مناقض للأخلاق، سواء كان ذلك في المجال المحلّي أو الدّولي، ويرى بأنّه بعد تجربة قرن كامل علينا أن ندرك أنّ العلم وحده بوسائله الخاصّة لا يستطيع إصلاح ما أفسده هو وحده، (مالك ا.، بين الرشاد والتيه، سلسلة مشكلات الحضارة، 1988م، الصفحات 73-

75)، فالعلم كان بيده الحلّ الذي يحقّق سعادة البشريّة، إلّا أنّه في ظلّ الحضارة الغربيّة، زاد من مشكلات الإنسان وضاعفها، بحيث أصبح عاجزاً عن إيجاد حلول لها فيقول: "إنّ ثمرة العلم الإنساني هي قتل الإنسان ونتيجة العلم الإنساني، لا إنسانيّة، فالإنسان وقف حائرا لا يعي من أمره شيئا إذ رأى ثقوب الأوزون والتلوّث وتآكل الأسرة، واجتثاث أشجار غابات المطر الاستوائية، وازدياد غاز ثاني أكسيد الكربون، فاكتشف أنه لا يساعد الإنسان وينير طريقه، على العكس وجد أنه يساهم في هلاكه وحرقه وتصفيته. (المسيري ع.، 1998م، صفحة 48)

4.3. **مشكلة الأخلاق في المجال السّياسي الدّولي** :

تظهر مشكلة الأخلاق في المجال السياسي في صورة العلاقات الدولية وبالخصوص في صورة العلاقة بين الاستعمار والمستعمرات "فالعلاقة كانت ولا تزال متناقضة في طرفيها كان الحوار بين المتكلمين في الطرف الأول الاستعمار، وفي الطرف الآخر القابلية للاستعمار، هذا الوضع الذي كان ورغم قوة الأشياء والظروف الدولية جعلت المواقف فيه الاستعمارية تتغير إلى حد ما، ولكن لم تتغير كلها ولن تتغير مادامت القابلية للاستعمار" يصور لنا ابن نبي صورة هذه العلاقة فيقول: "أوروبا المدفوعة بصناعتها في العالم، تلك الصناعة التي تقهرها على المساكنة والجوار، قد انتكست دائما بأخلاقها إلى قاعدة الانطلاق الفكري التي انطلق منها الاستعمار، فهي تعود دائما إلى العنصرية، وإلى احتقار الإنسانية، فإرادة الكبار بما تتمتع به من حق الاعتراض – الفيتو- في المناقشات الدولية لتعتبر في الواقع التيار المضاد لإطراد التاريخ تياراً مضاداً محملا بكل العناصر السلبية التي مشكلتها حضارة لم تستطع أن تتغلب على مصاعبها الأخلاقية وهذا الجمود الأخلاقي كله هو الذي يضغط بثقله على المصير الإنساني، معطلا التاريخ، تاركاً الأحداث تجري في مكانها" (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، الصفحات 38-40) مثل: "حرب الخليج ونتائجها على المنطقة والعالم، وما يحدث في سوريا واليمن وبعض المناطق الإفريقيّة" فالعبقريّة الغربيّة برهنت من خلال الأحداث الدّوليّة الحاليّة عن عجزها الأخلاقي، عن أن تحتلّ مكان القيادة في العالم، إذ كي تتحمّل أعباء هذه القيادة لابدّ من سلطة أخلاقيّة ودفعة روحيّة، ممّا لا وجود له في هذه العبقريّة الصّناعيّة ولا في مبادئها، ولا في توجيهها (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، صفحة 42).

ورغم أنّ ابن نبيّ يرى بأنّ لهذا الوسط الغربي بعض الفضائل الخُلقيّة التي شهد لها بعض الزّعماء كالزعيم الهندي غاندي، لكنّه يعتبرها فضائل مزيّفة فيقول: "وإن كان للوسط الغربي فضائل خلقيّة جميلة فهي ليست سوى فضائل داخليّة وأنانيّة لا إشعاع لها، فالعقل الغربي أنانيّ في الوجهة الأخلاقيّة فالفضيلة الغربيّة لا وجود لها بالنّسبة إلى العالم فالغربي لا يحمل فضائله خارج عالمه فهو خارج الحدود الأوروبيّة، لا يكون إنساناً بل أوروبياً وهو لا يرى بعد ذلك أناساً بل مستعمرين، وعليه فإنّ الأوروبي لا ينشئ روابط صداقة أخلاقيّة، فإنّ علاقته مع المستعمر هي من النّوع الاقتصادي، أو الإداري أو السّياحي، بل حتّى من النّوع الاستراتيجي في بعض الحالات تبعاً لاتّصاله بزبائن، أو رعايا أو أقوام مستعمرين، أو لحم يطعمه للقنابل الذّريّة، إن إخفاق أمريكا - باعتبارها قائدة النّظام العالمي- ذات الطّابع الإنساني والأخلاقي لا

يساوي في دويّه شيئاً سوى نجاحها في المشكلات ذات الطّابع الصّناعي، وإنّ مأساة العالم المرتبطة إلى حدّ ما منذ عشر سنوات لهذا الإخفاق الأخلاقي والنّفسي" (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، الصفحات 44-45).

4. مقترحات ابن نبيّ حول معالجة مشكلة الأخلاق في القرن العشرين في المجال الاقتصادي والاجتماعي والسّياسي الدّولي.

سعى ابن نبيّ لفكرة إنشاء ميثاق أخلاقي عالميّ انطلاقا من الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: 110] هذا الميثاق الأخلاقي الذي يُنظر له انطلاقا من الحاجة الإنسانيّة الماسّة، نحو تصحيح انحرافات الحضارة الغربيّة، والمفاسد والمغالطات الفكريّة التي رسّختها ترسانة منظّري هذه الحضارة، فيطرح من خلال تحليلاته أساليب وآليات تنظّم الحياة البشريّة وتعيد برمجتها بما يساعدها على الارتقاء بدل الانحدار إلى حافّة الهاويّة التي تسير نحوها الإنسانيّة اليوم، والتي حذّرنا منها طارحاً تصوّراً مفزعاً يضع الإنسانيّة جمعاء في مصير مجهول متحدّثا عنها في محاضرته الّتي عنونها تحت عنوان "دور المسلم ورسالته في الثّلث الأخير من القرن العشرين"، عندما وصف فيها حال المجتمعات المعاصرة التي تعيش تحت خطر اندلاع حرب عالميّة ثالثة، والتي ستنهي الحياة على وجه الأرض لا محالة قائلا: "إنّنا نتصوّر أنّ نهاية الثّلث الأخير من القرن العشرين، لن تكون كالفترات الأخرى، لأنّ التّاريخ سينفرد إلى حدّ كبير بأشياء أخطر ممّا يتصوّر العقل، كأنّما التّاريخ كلّه تجمع منذ بدايته، واقترب من مصبّه، كالنّهر الّذي تجمّعت كلّ روافده فيه عندما أصبح قريبا من البحر، لهذا أصبح الثّلث هذا ممتلئا بكلّ التّوقّعات وسينصبّ قريبا في سنة "ألفين" التي تضع أمام الإنسانيّة جمعاء أخطر نقطة استفهام على مصير الإنسانيّة منذ بدايتها، لأنّنا لا ندري في الحقيقة كيف ستنتهي هذه الحقبة من الزّمن" (مالك ا.، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، سلسلة مشكلات الحضارة، 1991م، صفحة 47)، وانطلاقا من هذه التّوقّعات وتأكيداً على رسالة المسلم ودوره تجاه نفسه وتجاه أمّته وتجاه الإنسانية جمعاء، يضع ابن نبي معالم الميثاق الأخلاقي العالمي التي نحدّدها في المجالات التالية:

1.4. الميثاق الأخلاقي في المجال الاقتصادي:

ينطلق ابن نبي في فكرة تأسيس ميثاق أخلاقي في المجال الاقتصادي من قناعته بأنّ المجتمع الإسلامي أجدر من يحقّق له، وللإنسانية التّجربة التي تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقيّته، ويتلافى بذلك الانحرافات الإباحيّة التي تورطت فيها الرّأسمالية، كما ينجو من ورطة الماركسيّة الماديّة التي سلبت الإنسان ما يميّزه عن الآلات والأشياء، (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 83) معتمداً في طرحه على هذا المشروع الذي يؤسّس له على أساس التّكتّل المرتبط لدول القارّة الأفريقيّة، والآسيويّة باعتبارها دولا تشاركت التّاريخ والمصير والظّروف الاقتصاديّة، والاجتماعيّة والسّياسيّة فيقول: "مصلحة البلدان الإسلامية هي أن تضع نصب أعينها عند أيّ تخطيط لاقتصادها هذا التّطوّر، أي أنّ الاقتصاد يتطوّر شيئا فشيئا نحو صورة الاتّحاد الاقتصادي" (مالك ا.، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، 2000م، صفحة 26) منطلقا من مبدأين جوهريّين هما

الأساس الذي يتحرّك فيه هذا المشروع الاقتصادي، وهما "المنفعة والزّهد الإسلامي"، هذان الحدّان اللّذان يعتبرهما الحارس الأمين الذي يبقي حركة الاقتصاد لصالح الفرد، ومنفعة الحياة الاجتماعيّة الآفروآسوية، ويضبط بهما حركة الاقتصاد في إطار الحاجة بحيث ينظّم الزّهد الحاجات وطرق تلبيتها في إطار مفهوم العدالة الذي يعطي الفرد حقّه والمجتمع حقه، المستنبطة من الشّريعة الإسلاميّة المحرّمة للرّبا، والتي تفرض حماية جميع فئات المجتمع خاصّة الفئة العاجزة عن الإنتاج والعمل، فالإرادة الحضاريّة الإسلاميّة فرضت الزّكاة للفقير والمسكين، وابن السبيل، الذين ليس لهم مال يغطون به حاجتهم اليوميّة أو كما يقول باقر الصّدر: "تعتبر حاجة هذه الفئة المحرومة سببا كافيا لحقّها في الحياة، وأداة من أدوات التّوزيع في قوله تعالى:﴿ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ [الذاريات: 19] (حسين، 2010م، صفحة 515) هذا المشروع الإسلامي المطبوع والموجّه بأخلاقيّات الإسلام التي تحكم حركة الاقتصاد برمّتها، وتقيم تعادلا بين الحقوق والواجبات، وبين الإنتاج والاستهلاك، يؤكّد على التّرابط بين القيم الأخلاقيّة، والقيم الاقتصاديّة وهي الميزة التي أهملتها الرّأسمالية، بسبب نزعتها الإباحيّة الاقتصاديّة، مستنداً في توضيح هذه القضيّة من خلال قصّة المتسوّل الذي أتى يسأل لقمة العيش فأشار الرسول إلى من حوله من الصّحابة – رضوان الله عليهم– بأن يجهزوا هذا الفقير ليحتطب مشيراً على الرّجل بأن يحتطب ليأكل من عمل يده، فقد ذهب في طرحه للمشكلة الاقتصاديّة من خلال تعامله مع الأزمة الاجتماعيّة من خلال حلّها في نطاق الواجب على الحقّ، وإذا قدّرنا الأبعاد الاقتصاديّة، فإنّنا نراه فضل الحلّ في نطاق الإنتاج. (محمد جلوب، 2014م، صفحة 46)

2.4. في المجال الاجتماعي الإنساني :

أكّد ابن نبي على ضرورة تعلّم فنّ الحياة – فنّ التّعامل مع الآخر– مؤكداً أن فنّ الحياة يعلمنا بالضّرورة كيف نتحضّر فيقول: "إن معنى التّحضر أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، ويدرك في الوقت ذاته الأهمّية الرّئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعيّة في تنظيم الحياة الإنسانيّة من أجل وظيفتها التّاريخية"، مؤكّداً أنّ تعلم فنّ الحياة أو التّحضّر مشروطٌ بالمحافظة على متانة شبكة العلاقات الاجتماعيّة، لأنه بالمحافظة عليها نحافظ على مسيرة التّحضّر التي نسعى لها، و بتفكّكها نكون قد تسبّبنا في أفول الحضارة فيقول: "وبدونها لا تستطيع الحياة الإنسانيّة أن تستمرّ لا أخلاقيا ولا ماديا" وهو في أغلب مؤلّفاته لا يطرح فكرة الأقران في إطار المواطن الصّالح في مجاله الوطني أو الإقليمي فحسب بل يتجاوز ذلك في إطار المواطن العالمي الصّالح فيقول: "فأنا الآن تواجهني المشاكل كلّ يوم في صور مختلفة غير أنّي إذا رتّبتها ترتيباً منطقياً، لا أعرف أي قيمة أعطي لكلّ نوع منها، فإنّني أرى أنّ هذه المشكلات تترتّب في فصلين" مشكلة تهمّني كمواطن عربي ومشكلات أخرى تواجهني كإنسان يعيش في مجتمع أوسع من المجتمع العربي الإسلامي، إنّه المجتمع الإنساني، فإنّ هذا قد أصبح يفرض كيانه اليوم، فأنا الآن أواجه دائما وفي كل لحظة من حياتي المشكلات من النّوعين، مشكلة المواطن ومشكلة الإنسان " (مالك ا.، تأملات، سلسلة مشكلات الحضارة، 1423هـ/2002م، صفحة 127) وهذا تأسيسا لتطبيق معاني الآية الكريمة:﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل

عمران:**104**]، فهو بذلك يرسم للإنسانيّة طريق السّعادة وينقذها من الدّمار الذي قد تؤوّل إليه "بتصرف" (حسين، 2010م، الصفحات 126-127)، فالإنسانيّة في حاجة لصوت يناديها إلى الخير، ويأمرها بالكفّ عن جميع الشّرور، كما أنّها بحاجة أكثر إلحاحاً من سواها إلى ذلك الآن، فالإنسان في الأصل تواق إلى الخير بفطرته.

3.4. في المجال السّياسي الدّولي:

تبنّى ابن نبي فكرة صياغة الدّستور الأخلاقي اعتمد فيه بشكل أساسي على الأخلاق الإسلاميّة السّمحة، في دعوة مباشرة منه للإنسانيّة جمعاء، لمحاربة كافّة أصناف الشّرور، والدّعوة إلى الخير والسّلام، مؤكّداً في دعوته على نبذ العنف الذي رسّخته دول محور الشّمال من خلال تفعيل مبدأ القوّة، والّذي بسببه حدثت كوارث إنسانيّة هائلة، معتبراً أن مبدأ البقاء الذي اعتمدته دول محور الجنوب في ظلّ التّحوّلات الدّولية الرّاهنة أوّل أرضيّة يمكن للإنسانيّة أن تستعيد من خلالها دعائم الأمن والأمان، بالتّركيز على هذا المبدأ في الميثاق العالمي المقترح قائلا: "يجب علينا أن نطرح المشكلات بمنطق البقاء لأنّنا بحاجة إلى رفع مستوى بقائنا على مستوى الحضارة" (مالك ا.، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، سلسلة مشكلات الحضارة، 1991م، صفحة 56) ، كما أنّ فكرة السّلام العالمي هي فكرة استراتيجيّة لن تستمر إلّا بالاعتماد على مبدأ عدم العنف، فمهمّة الإنسانيّة اليوم خاضعة في عمومها لنصرة السّلام التي تفرض نفسها، مقدِما على كلّ مشروع اجتماعي، أو روحي في العالم الرّاهن، لقد أصبحت هي النّقطة التي تلتقي عندها خيوط التّاريخ جميعا" (مالك ا.، مشكلة الثقافة، مشكلات الحضارة، 1420هـ/2000م، صفحة 126)، فعلى جميع شعوب الكرة الأرضيّة أن تبقي جميع حساباتها الاقتصاديّة، والسّياسيّة والعسكريّة جانبا من أجل تحقيق السّلام العالمي، لتتمكّن من تحقيق التّعايش السّلمي المنشود قائلا: "إنّ ما نبحث عنه هو الموافقة الحرّة للشّعوب الحرّة على العيش في وحدة، وأنّ نصنع دون إكراه بالقوّة التّوافق والتّنازل اللّذين بدونهما لا يمكن للمثل الأعلى أن يتحقّق، ولا للسّلام أن يتحقّق" (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، صفحة 265)، موضّحا أنّنا بحاجة للتّعايش وحسن الجوار في إطارها الإقليمي، والدّولي فيقول: "في عصرنا هذا يجب أن نعطي الجوار معنى أوسع يتماشى مع ظروف الاتّصال الإنساني الخاصّة بالعصر الذرّي، فإذا كان جارنا هو الّذي نراه ونسمعه، فإنّنا نسمع اليوم ونرى على بعد آلاف من الكيلومترات، فجوارنا لم يعد في شارعنا أو مدينتنا أو بلدنا، بل أضحى في كلّ مكان أينما وجد الآخرون" (مالك ا.، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، 2001م، صفحة 248)، هذه هي النّقاط الجوهريّة التي حدّدها ابن نبي كصورة يجب أن نصدّرها كمسلمين ونسعى لتحقيقها لإنقاذ الإنسانيّة من الوحشيّة التي رسّختها الحضارة الغربيّة في كافة المجالات.

5. الخاتمة

توصّلنا في ختام دراستنا هذه التي ناقشنا فيها الرّؤية النّقديّة لمشكلة الأخلاق في الحضارة الغربيّة عند ابن نبي، إلى تحديد مفهوم الأخلاق كمصطلح ديني، والّذي أكّد فيه ابن نبي على أهمّية الدّين في صناعته موضّحا من خلال دراسته لهذا المصطلح الفلسفي أنّ العادات والتّقاليد والأعراف الاجتماعيّة ما هي إلّا

صورة لانعكاس القيم الأخلاقيّة التي وجّهنا الخالق لها، من خلال ما أرسله على لسان رسله وانطبع في سلوك عباده الصّالحين، كما تبيّن أنّ ابن نبي لم يناقش مشكلة الأخلاق من هذه الزّاوية ليحدّد مفهومها الفلسفي فحسب، بل ناقشها إيمانا منه بدور الأخلاق المهمّ في حلّ المشكلات المطروحة في المجتمعات الإنسانيّة المتحضّرة اليوم، الّتي قدّست العلم على حساب الأخلاق، وتجاهلت قيمة الأخلاق وأهمّيتها في تنظيم المجتمعات الإنسانيّة، موضحا خطورة الانحرافات الّتي أحدثتها الحضارة الغربيّة في العالم في المجالات المختلفة (الاقتصاد، الاجتماع، السياسة، العلم)، محاولا من خلال قراءته النّقدية للحضارة الغربيّة تنبيه المجتمع الإنساني حول الكوارث الّتي قد تصيب الإنسانيّة، إذا لم يحاول معالجة هذه الانحرافات الفكريّة في أقصر مدّة زمنيّة، إيمانا منه بدعوة التّوحيد التي تفرض على المسلم أن يكوّن الإرادة الخيّرة في الأرض، باعتباره خليفة الله، واشتراكه مع أقرانه في الحياة الإنسانيّة – عالم القرية الواحدة والمصير المشترك– لنتوصّل لأهم الحلول الفكريّة التي طرحها ابن نبي من خلال استقراء الشّريعة الإسلاميّة في صياغة دستور أخلاقي، عالمي، يمكّن البشريّة من إعادة إحياء النّفس الإنسانيّة التي دمّرتها الحضارة الغربيّة بسبب نظريّاتها المنحرفة عن الفطرة الإنسانيّة، مبرزين خطورة هذه التّوجّهات الفكريّة اللاأخلاقية على المجتمعات الإنسانيّة، خاصة بعد استفحال ظاهرة الاستعمار الغربي وآثارها البارزة اليوم على الواقع الإنساني.

6. قائمة المراجع

- القرآن الكريم مصحف المدينة الإلكتروني خط QCF_P063
- إبراهيم، مصطفى، (2004م)، المعجم الوسيط، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية.
- ابن مسكويه، أبي علي، (1329هـ)، تهذيب الأخلاق، دار: المطبعة الحسينية المصرية.
- ابن منظور الأنصاري، محمد، (1119م)، لسان العرب، القاهرة، دار: المعارف.
- ابن نبي، مالك، (1986م)، شروط النهضة، سلسلة مشكلات الحضارة، دمشق، دار: الفكر.
- ابن نبي، مالك، (1988م)، بين الرشاد والتيه، سلسلة مشكلات الحضارة، سوريا، دار: الفكر.
- ابن نبي، مالك، (1991م)، دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، سلسلة مشكلات الحضارة، الجزائر، دار: الفكر.
- ابن نبي، مالك، (2000م)، كمنويلث إسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، بيروت لبنان، دار: الفكر المعاصر.
- ابن نبي، مالك، (2000م)، المسلم في عالم الاقتصاد، سلسلة مشكلات الحضارة، بيروت (لبنان)، دار: الفكر المعاصر.
- ابن نبي، مالك، (2001م)، فكرة الأفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، سلسلة مشكلات الحضارة، سوريا، دار: الفكر.
- ابن نبي، مالك، (2002م)، تأملات، سلسلة مشكلات الحضارة، بيروت، دار: الفكر.
- ابن نبي، مالك، (2002م)، وجهة العالم الإسلامي، سلسلة مشكلات الحضارة، دمشق، دار: الفكر.
- ابن نبي، مالك، (1986م)، ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، سلسلة مشكلات الحضارة، الجزائر، دار: الفكر.

- ابن نبي، مالك، (1420هـ/2000م)، مشكلة الثقافة، مشكلات الحضارة، دمشق، ط4، دار: الفكر.
- الفرحان، محمد جلوب، (2014م)، الخطاب، دار: بن مرابط.
- الإمام الطبراني، عبد الله، (1409 هـ/1989م)، مكارم الأخلاق، دار الكتب العلمية.
- الإمام بن حنبل، احمد، (2001م)، الموسوعة الحديثية تتمة مسند عائشة رضي الله عنها، دار: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر.
- باترسون، توماس سي، (2001م)، الحضارة الغربية الفكرة والتاريخ، المجلس الأعلى للثقافة.
- حسين، يوسف محمد، (2010م)، موقف مالك بن نبي من الفكر الغربي الحديث، الجزائر، دار: الخلدونية.
- الجابري، محمد عابد، (2001م)، العقل الأخلاقي العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام القيم في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت).
- خفاجي، محمّد، (1995م)، مدارس النقد الأدبي الحديث، القاهرة، دار: المصرية اللبنانية.
- زيدان، عبد الكريم، (1976م)، أصول الدعوة، بغداد.
- شريعاتي، علي، (2008م)، الأخلاق للشباب والطلاب، بيروت (لبنان)، دار: الأمير للثقافة والعلومّ
- شريعاتي، علي، (1986م)، العودة إلى الذات، القاهرة، دار: الزهراء للإعلام العربي.
- عبد الكريم، محمد الغريب، (0000م)، البحث العلمي التصميم والمنهجي والإجراءات، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية (مصر).
- العويسي، عبد الله، (2012م)، مالك بن نبي حياته وفكره، لبنان، دار: الشبكة العربية للأبحاث والنشر
- عويمر، مولود، (2013م)، مالك بن نبي رجل الحضارة، الجزائر العاصمة، دار الأصالة للنشر والتوزيع.
- الغزالي، أبو حامد، (2005م)، إحياء علوم الدين، دار: ابن الحزم للطباعة والنشر والتوزية.
- الغزالي، محمد، (1987م)، خلق المسلم، القاهرة، دار: الريان للتراث.
- كانت، ايمانويل، (2002م)، تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق دار: منشورات الجمل.
- كايم، إميل دور، (2015م)، التربية الأخلاقية، القاهرة، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.
- لوفابر، هنري، (1952م)، هذه هي الماركسية، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر
- مختار، أحمد، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، القاهرة، دار: عالم الكتب.
- المزوزي، محمد بن نصر، (1406هـ)، تعظيم قدر الصلاة، دار: مكتبة دار المدينة المنورة.
- مسلم، أبي حسين، (1412هـ/1991م)، صحيح مسلم، دار: إحياء الكتب العربية.
- الموطأ، مالك بن أنس، (1406هـ/1985م)، كتاب حسن الخلق، بيروت لبنان، دار: إحياء التراث العربي.
- المسيري، عبد الوهاب، (آذار 2019م)، فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، سلسلة في التنوير الإسلامي، مصر، دار: نهضة مصر.
- بجة، زكية، (2005م)، النقد التطبيقي عند الجاحظ، كتاب الحيوان نموذجا، جامعة الحاج لخضر، باتنة (الجزائر).
- خدة معمر، جلول، (2010م/2011م)، الدراسات الفلسفية الأخلاقية في الفكر المغاربي المعاصر، جامعة وهران (الجزائر).
- ابن عطية، قدور، (2018م)، أصل الأخلاق بين فريدريك نيتشه وكارل ماركس، مجلة التدوين، جامعة محمد بن أحمد وهران2، العدد 11.

- البلوشي، حسن، (2007م)، سؤال الأخلاق في الفكر العلماني، مجلة البصائر، لبنان، العدد41.
- سعد، مجاهد، وآخرون، (2016م)، الخطوات العلمية في بناء الرؤية والرسالة الاستراتيجية ودورهما في تطوير أداء المنظمات، مجلة أبحاث البيئة والتنمية المستدامة، جامعة النيلين، السودان، كلية التربية، العدد 2.
- عاشور، بن قويدر، (26 سبتمبر2016)، نقد عالمية الحضارة الغربية عند مالك بن نبي، مجلة الباحث في العلوم الانسانية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 26.
- عبد الله، كريمة لطيف، (آذار2019م)، المعارضة الفكرية لنظرية صدام الحضارات، مجلة جامعة ذي قار، العراق، مجلد 14، العدد1
- هارون، غنيمة، (جانفي 2017م)، مكانة الأخلاق عبر تاريخ الفكر الغربي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية قسم الآداب والفلسفة الجزائر، العدد17
- واضح، ليندة، (ديسمبر 2016م)، نقد الحداثة الغربية في فكر المسيري، مجلة منيرفا، مجلة أنثروبولوجيا، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، العدد 2.
- وطفة، علي أسعد، (2013م)، في مفهوم الأخلاق: قراءة فلسفية معاصرة، مجلة الشؤون التربوية، بحوث ودراسات، كلية التربية، الكويت، العدد 119.
- أحمد إبراهيم خضر، (2013م)، أهم الفروق بين المشكلة والقضية، شبكة الألوكة موقع أحمد إبراهيم خضر https://www.alukah.net(بتاريخ 2013/03/02 بتوقيت 10:10).
- أحمد إدعلي (2021)، سؤال التنمية في فكر بن نبي ملامح رؤية إسلامية لقضايا التخلف الحضاري، مجلة أضواء للدراسات والأبحاث ،(بتاريخ2021/07/09 بتوقيت:10:10) http://adhwaa.net/%
- أحمد، إيهاب كمال، (2014م)، تعريف الأخلاق في اللغة والشرع والاصطلاح، شبكة الألوكة، https://www.alukah.net (بتاريخ 2014/04/22).